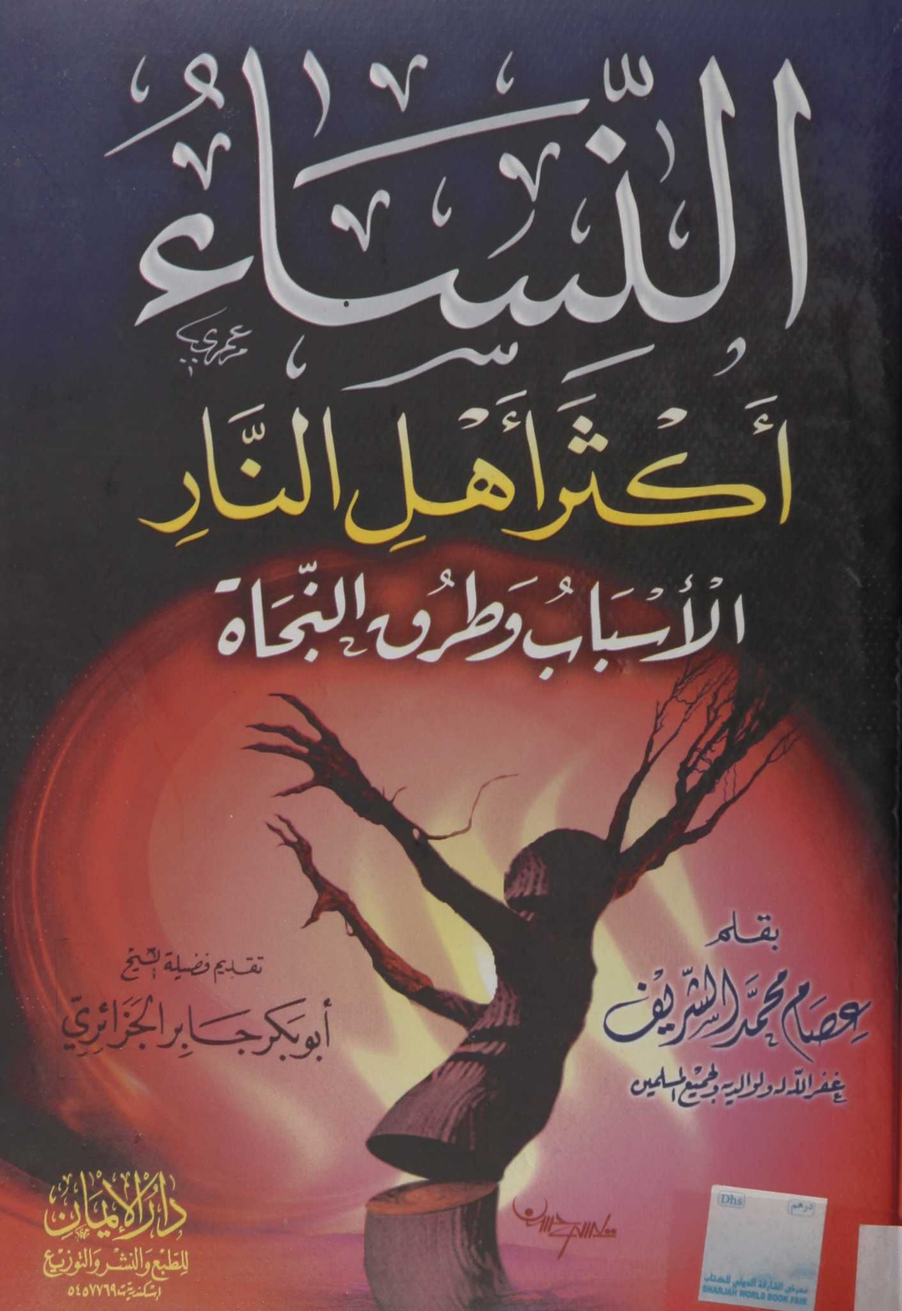

النساء
أكثر أهل النار
الأسباب وطرق النجاة
بقلم
عصام محمد الشريف
غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين
تقديم فضيلة الشيخ
أبو بكر جابر الجزائري
دار الإيمان
للطبع والنشر والتوزيع
اسكندرية ت ٥٤٥٧٧٦٩


النساء
أكثر أهل النار



بسم الله الرحمن الرحيم

رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا

إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ

دار الإيمان
للطبع والنشر والتوزيع
إسكندرية ت ٥٤٥٧٧٦٩

رقم الإيداع ١٣٨٥٧ / ٢٠٠٢

الترقيم الدولى

977-331-143-0

دار الإيمان ١٧ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - إسكندرية
للطبع والنشر والتوزيع تليفون وفاكس ٥٤٥٧٧٦٩ - تليفون ٥٤٤٦٤٩٦

E-mail: dar_aleman@hotmail.com

النساء

أكثر أهل النار

الأسباب وطرق النجاة

بقلم

عصام محمد الشريف

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

تقديم فضيلة الشيخ

أبو بكر جابر الجزائري

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين





بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة تقريظ

لفضيلة الشيخ / أبو بكر الجزائري - حفظه الله -

بسم الله الرحمن الرحيم ، والصلاة والسلام على خاتم النبيين ، وآله وصحابته أجمعين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

وبعد :

فقد أهدى إليّ الأخ الصالح العالم البصير الداعية الكبير الأستاذ / عصام ابن محمد الشريف ، تأليفه **[النساء أكثر أهل النار ، الأسباب وطرق النجاة]** ، فتصفحته ووالله لقد أعجبني وسرّني حتى وددت أن يوجد لدى كل مؤمنة فى هذه الحياة ، وقد قدمته لأهلي وأوصيتها بقراءته والانتفاع بما فيه من بيان أسباب النجاة من النار .

وإني أهيب بالمؤمنين أن ينشروا هذا الكتاب فى ديارهم وأن يترجموه للغاتهم المختلفة ، وإنها لفرصة قد سنحت لهداية نساء المؤمنين ، لا سيما وقد أصبح غالب النساء يقرأن ويفهمن الثقافة العامة التى ظهرت وسادت فى العالم.

هذا وإني أدعو الله للمؤلف بحسن المثوبة وأن ينفع بما يكتبه ويقدمه لإخوانه المسلمين وأن لا يحرمني دعاءه واستغفاره لي عندما تبلغُه وفاتي وأجره على الله ، والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً .

كتبها

أبو بكر جابر الجزائري
المدرس بالمسجد النبوي الشريف

فى ١٤١٥/١/٢٠هـ

غفر الله له ولوالديه وللمسلمين

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثالثة

حمداً لله ، وصلاة وسلاماً على رسول الله ، وآله وصحبه ومن والاه .

وبعد :

فقد روى البخارى فى الأدب المفرد « عن أسماء بنت زيد الأنصارية رضي الله عنها قالت : مرَّ بى النبى ﷺ وأنا فى جَوار أتراب لى ، فسلم علينا وقال : « **إياكن وكفر المُنْعِمين** » ، فقلت : يا رسول الله وما كفر المنعمين ؟ **قال** : « **لعل إحداكن تطول أيمتها من أبويها ، ثم يرزقها الله زوجاً ، ويرزقها منه ولداً ، فتغضب الغضبة فتكفر فتقول** : ما رأيت منك خيراً قط » [1] .

قرأت هذا الحديث وأخذت أتمعن فى معناه ومدلوله ، وأنا أستقرأ مشاكل أسرية بين يديَّ ، أتدخل فيها ، أو تأتينى عبر الهاتف ، أو أتلقاها مكاتبة فوجدت أن رسول الله ﷺ من حبه للنساء يحذرهن ويأخذ بأيديهن إلى طريق النجاة ، لا سيما وأنهن أكثر أهل النار كما ورد فى الحديث الصحيح .

وجدت كفر النعمة بين ثنايا مشاكل أسرية ، ووجدت للمرأة فيها اليد الطولى : فهذه تطلب الطلاق من زوجها لَمَّا تزوج عليها ، وبعد الطلاق تبكى الآن ، وتسعى للعودة إليه ، وقد ندمت على انفعالها الأهوج ، وسماعها لكلمات الهوى من إخوتها وصديقاتها ، فبعد مدة كلٌّ انشغل بحاله وتركوها تصارع الحياة بمفردها ، بعدما كانت تعيش فى حياة هنيئة رغدة .

وهذه مطلقة ، ذاقت الأمرين بعد الطلاق حتى رزقت بزوج ، وبعد مدة

(١) قال الألبانى – رحمه الله – وهذا إسناد جيد « السلسلة الصحيحة » رقم (٨٢٣) .

بدأت تتعالى عليه ، وتنظر إلى الدنيا وتطلب منه من الدنيا ما فوق طاقته ، وتحدث المشاكل ، بعد أن كانت دموعها هى المُسكّن الوحيد فترة طلاقها ! .

وهذه قارب عمرها على منتصف الثلاثينيات وهى تبكى لأنها لم تتزوج بعد ، وعيون الناس تلاحقها هنا وهناك ، فلما أكرمها الله عز وجل بزوج ، تغيرت صورتها واعتقدت أنها قَيِّمة البيت ، الآمرة والناهية فيه !! .

وأخرى تعيش مع زوجها فى مستوى أعلى مما كانت تعيش فيه فى بيت والديها ، وما أن حدثت مشكلة إلا وهى تشكو وتفضح ، فلم تر منه خيراً قط !! ... إلى غير ذلك من المشاكل الكثيرة التى تعج بها صفحات المجلات والجرائد يومياً ، هذا بالإضافة إلى صور أخرى من مظاهر كفر المرأة ، نعم الله عليها مثل : التبرج ، وإهمال تربية الأولاد ، وهجر القرآن ، وشغل اللسان بما هو باطل ولهو ، وقلة ذكر الله تعالى إلى غير ذلك من المعاصى والآثام .

فيا نساء المسلمين :

هيا إلى جوار الله تعالى وحده ، وانفضن عنكن غبار الدنيا وشهواتها ، ومن يحبونها ، فلا عيش إلا عيش الآخرة .

يارَبِّي :

أنا مذنبٌ أشكو ذنوبى فامْحُها عنى وبلِّغنى الذى أهواه
وأذِقْنى بَرْدَ رضاك عنى فلم يخبْ من كان عينك بالرضا ترعاه

اللهم تقبل عندك كل ما تخطه يمينى ، واغفر لى ذنوبى ، دقَّها وجلَّها ، أولَّها وآخرّها ، سرَّها وعلانيتها .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

وكتبه / عصام بن محمد الشريف
الخميس ٧ من المحرم ١٤٢٣هـ
الموافق ٢١/٣/٢٠٠٢م .

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الأولى

الحمد لله الذي هدانا للإسلام ، والحمد لله الذي شرع لنا أكمل الشرائع والأحكام ، والحمد لله الذي أبان لنا الحلال والحرام وجعل في الحلال غُنية عن الحرام .

أحمده تعالى وأشكره ، وأتوب إليه وأستغفره ، وأسأله التجاوز عن جميع الذنوب والآثام ، وأصلي وأسلم على نبينا محمد عبد الله ورسوله وصفيه وخليله ، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

وبعد :

فقد عمدت إلي كتابة هذا الكتاب للأسباب الآتية :

[١] إخباره ﷺ [**بأن النساء أكثر أهل النار**] ، فكان ذلك دافعاً لي للبحث عن معرفة الأسباب ، وسبب الأحاديث الواردة في ذلك ، ثم البحث عن كيفية النجاة من النار ، فإن الأمر جدّ خطير ، والنساء عنه في غفلة ولهو وإعراض ، فأردت أن أطلق صيحة تحذير وصرخة نذير لنساء المسلمين .

[٢] حبي للنساء والشفقة عليهن، فمنهن أمي رحمها الله ، وزوجي ، وابنتي، وأختي ، ولا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحبه لنفسه .

[٣] انشغالي بإلقاء الدروس على النساء منذ حوالي أربعة عشر عاماً وحتى الآن بحمد الله وتوفيقه ؛ حملني على الانشغال بقضايا المرأة .

فأحياناً أجول هنا وهناك مدافعاً عنها ، وأحياناً أخرى أصول هنا وهناك مهاجماً لها ، وأحياناً أخرى ناصحاً ومذكراً ومشفقاً عليها .

لذا فقد توكلت على اله وألقيت على النساء محاضرة عامة في ذلك ، ثم يسر الله لي بتوفيقه كتابتها ، حتى تخرج إلى النور ، وتصل إلى يد كل امرأة تؤمن بالله واليوم الآخر ، فأكون بذلك قد بلَّغت ما علمت ، ونصحت قدر استطاعتي ، وعلى الله الأجر والثواب .

[٤] ما آل إليه حال أكثر النساء اليوم من الفساد والانحلال والبعد عن تعاليم الإسلام ، والدين النصيحة ، فأردت إسداء النصيحة بالحجة والبيان ، وبالحكمة والموعظة الحسنة ، عسى أن تعود النساء إلى سالف عهدهن من الأدب مع الله ومع رسوله ﷺ .

وقد قسمت الكتاب إلى سبعة أبواب :

- **الباب الأول** : ذكرت فيه على قدر جهدي الأحاديث الواردة في أصل موضوع الكتاب .
- **الباب الثاني** : ذكرت الأسباب التي من أجلها كانت النساء أكثر أهل النار .
- **الباب الثالث** : ذكرت ثلاث نساء من مشاهير نساء أهل النار ، حتى لا تسلك امرأة مسلكهن ، ثم ختمت الباب بذكر نماذج شامخة لبعض نساء المسلمين .
- **الباب الرابع** : تحدثت فيه عن صفة النار وأحوال أهلها فيها باختصار ، حتى تكون المرأة على بصيرة بمآلها إن انحرفت عن صراط الله المستقيم .
- **الباب الخامس** : ذكرت طرق النجاة من النار كما ذكرها النبي ﷺ للنساء في الأحاديث .
- **الباب السادس** : إتماماً للفائدة ذكرت بعض الفوائد الهامة المتعلقة بموضوع أحاديث الكتاب .

● **الباب السابع** : ختمت الكتاب بوصايا ونصائح هامة لنساء المسلمين ، والله أسأله وحده أن يتقبله مني ، وأن يجعله في ميزان حسناتي يوم لقاه .

أســـيـــرُ الخطايا عند بابك واقف ... به وجلٌ مما به أنت عـــــارفُ

يخاف ذنوباً لم يغب عنك غيُها ... ويرجوك فيها فهو راج وخائفُ

فمن ذا الذى يُرجى سواك ويُتَقَى ... ومالكَ فى فصل القضاء مخالفُ

فيا سيدى لا تُخزنى فى صحيفتى ... إذا نُشرت يوم الحساب الصحائفُ

وكن مؤنسى فى ظلمة القبر عندما ... يصُدُ ذوو القربى ويجفوا المؤآلفُ

لئن ضاق عنى عفوك الواسع الذى ... أُرَجي لإســرافي فـإني لتـالفُ

اللهم ارحم في الدنيا غربتى ، وارحم فى القبر وحشتى ، وارحم موقفى غداً بين يديك ، وصل اللهم على محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيراً .

وكتبه

عصام بن محمد الشريف

غفر الله ولوالديه وللمسلمين

٢٨ من جمادى الآخرة ١٤١٣هـ

الموافق ١٩٩٢/١٢/٢٣م .

الباب الأول

الأحاديث الواردة في أن النساء أكثر أهل النار



[١] عن أبي سعيد الخدرى رضي الله عنه قال : خرج رسول الله ﷺ فى أضحى أو فطر إلى المصلى ، فمرَّ على النساء فقال : « يا معشر النساء تصدَّقْنَ فإني أُريتكُنَّ أكثر أهل النار » .

وفي رواية مسلم : « تصدقن وأكثرن الاستغفار » .

فقلن : وبم يارسول الله ؟ ، وفي رواية مسلم : فقالت امرأة منهن جَزْلَةٌ [١] : وما لنا يارسول الله أكثر أهل النار ؟ ، قال : « تكثرن اللعن وتكفرن العشير ، وما رأيت من ناقصات عقل ودين أَذْهَبَ لِلُبَ الرجل الحازم من إحداكن » ، قلن : وما نقصان ديننا وعقلنا يارسول الله ؟ ، قال : « أليس شهادة المرأة مثلُ نصف شهادة الرجل ؟ » ، قلن : بلى ، قال : « فذلك من نقصان عقلها ، أليس إذا حاضت لم تُصلِ ولم تصُم ؟ » قلن : بلى . قال : « فذلك من نقصان دينها »

وفي رواية : « أما نقصان العقل فشهادة امرأتين تعدل شهادة رجل واحد فهذا نقصل العقل ، وتمكث الليالى لا تصلي وتفطر في رمضان فهذا نقصان الدين » [٢] .

---

(١) قال فى (النهاية) : « جزلة » أى تامة الخلق ، ويجوز أن تكون ذات كلام جَزْل : أى قوى شديد (١/٢٧٠) .

(١) أخرجه البخارى (الفتح ١/١٠٤ ، ٣٨٣) (٢/٦٢٧) ، (٣/٢٨١) ومسلم (٦٥١٢) وأبو داود برقم (٤٦٧٦) ، وفى عون المعبود للعظيم آبادى (١٢/٤٣٨) ، والنسائى (٣/١٨٦) ، وابن ماجه برقم (٤٠٠٣) (٢/١٣٢٦) بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقى ، وأحمد (٦/٤٨) من حديث ابن عمر وأخرجه أبو نعيم فى الحلية (١/٦٩) ، والبيهقى فى السنن الكبرى (٤/٢٣٥ ، ١٠/١٤٨)

[٢] وعن جابر رضي الله عنه قال : **شهدت الصلاة مع رسول الله ﷺ في يوم عيد فبدأ بالصلاة قبل الخطبة بغير أذان ولا إقامة ، فلما قضى الصلاة ، قام متوكئاً على بلال ، فحمد الله وأثنى عليه ووعظ الناس وذكَّرهم وحثهم على طاعته ، ثم مال ومضى إلى النساء ومعه بلال فأمرهن بتقوى الله ، ووعظهن وذكَّرهنَّ** ، وحمد الله وأثنى عليه ، **ثم حثهن على طاعته ثم قال** : « **تصدقن فإن أكثركن حطبُ جهنم** » فقالت امرأة من سَفَلة النساء[١] سفعاء الخدين[٢] : بم يارسول الله ؟ ، **قال**: « **تُكثرن الشَّكَاة وتكفرن العشير** » ، **فجعلن ينزعْن قلائدهن وأَقْرُطَهُنَّ** [٣] **وخواتيمهن ، يقذِفْنَه في ثوب بلال ، يتصدقن به** » [٤] .

[٣] وفي السنن الكبرى للبيهقي عند أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال :

خرج رسول الله ﷺ في أضحى أو فطر إلى المصلى ، ثم انصرف فقام فوعظ الناس وأمر الناس بالصدقة فقال : « **أيها الناس تصدقوا** » ، **ثم انصرف فمرَّ على النساء فقال** : « **يا معشر النساء تصدقن فإني أُريتكن أكثر أهل النار** » . فقلن : وبم ذلك يارسول الله ؟ ، **قال** : « **تكثرن اللعن وتكفرن العشير ، وما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب بلُب الرجل الحازم من إحداكن يا معشر النساء** » ، فقلن له : ما نقصان ديننا وعقلنا يارسول الله ؟ ، **قال** : « **أليس شهادة المرأة مثل نصف شهادة الرجل ؟** » ، قلن : بلى ، قال : « **فذلك من نقصان عقلها ، أوليس إذا حاضت المرأة لم تصل ولم تصم ، فذلك من نقصان دينها** » [٥] .

---

(١) ليست من علية النساء .
(٢) السفعة نوع من السواد وليس بالكثير ، وقيل هي سواد مع لون آخر .
(٣) أقرطهن : جمع قرط وهو نوع من حلي الأذن .
(٤) سنن النسائي بشرح السيوطي وحاشية السندي (١٨٦/٣) وصححه الألباني صحيح سنن النسائي (٣٤٥/١) .
(٥) السنن الكبرى (٢٣٥/٤) باب الحائض تفطر في شهر رمضان .

[٤] وعنده أيضاً عن ابن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ قال : « **يا معشر النساء تصدقن وأكثرن من الاستغفار ، فإني رأيتكن أكثر أهل النار** » ، قالت امرأة منهن : ما لنا يارسول الله ؟ ، قال : « **تكثرن اللعن وتكفرن العشير ، وما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لذي اللُب منكن** » ، قالت : يارسول الله : وما نقصان العقل والدين ؟ ، **قال** : « **أما نقصان العقل فشهادة امرأتين تعدل شهادة رجل واحد ، فهذا نقصان العقل ، وتمكث الليالى لا تصلي ، وتفطر في رمضان ، فهذا نقصان الدين** » [(١)] .

● **ومن الأحاديث التي تدور حول المعنى المقصود :**

[١] « **أُريت النار ، فإذا أكثر أهلها النساء ، يكْفُرن** » ، قيل : أيكفرن بالله ؟ ، قال : « **يكفرن العشير ويكفرن الإحسان ، لو أحسنتَ إلى إحداهن الدهر ثم رأتْ منك شيئاً ، قالت : ما رأيت منك خيراً قط** » [(٢)] .

[٢] وعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « **قمت على باب الجنة فإذا عامة من دخلها المساكين ، وإذا أصحاب الجَدِّ محبوسون إلا أصحاب النار فقد أُمِرَ بهم إلى النار ، وقمت على باب النار فإذا عامة من يدخلها النساء** » [(٣)] .

[٣] وعن عمران بن حصين رضي الله عنه قال : قال النبى ﷺ : « **إن أقل ساكني الجنة النساء** » [(٤)] .

[٤] وعن عمارة بن خزيمة رضي الله عنه قال : بينا نحن مع عمرو بن العاص في

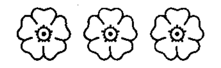
---

(١) السنن الكبرى (١٠/١٤٨) باب الشهادة فى الدين وما فى معناه يكون مالاً أو يقصد به المال .
(٢) رواه البخارى (الفتح ١/١٠٤) .
(٣) رواه أحمد في مسنده (٥/٢٠٥) ، (٥/٢٠٩) ، والبخارى فى النكاح والرقائق ، ومسلم فى الذكر ، والجد : الحظ والسعادة .
(٤) رواه أحمد فى مسنده ، ومسلم فى صحيحه .

حج أو عمرة ، فإذا نحن بامرأة عليها جبائر لها [(١)] وخواتيم ، وقد بسطت يدها على الهودج ، فقال : بينما نحن مع رسول الله ﷺ في هذا الشِّعْب إذ قال : « **انظروا ! هل ترون شيئاً** » ، فقلنا : نرى غرباناً فيها غراب أعصم ، أحمر المنقار والرجلين ، فقال رسول الله ﷺ : « **لا يدخل الجنة من النساء إلا من كان منهن مثل هذا الغراب في الغربان** » [(٢)] .

[٥] وعن أبي أذنية الصدفي أن رسول الله ﷺ قال : « **خير نسائكم الودود ، المواتية المواسية إذا اتَّقَيْن الله ، وشر نسائكم المتبرجات المتخيلات وهن المنافقات ، لا يدخل الجنة منهن إلا مثل الغراب الأعصم** » [(٣)] .

قال الألباني – رحمه الله – : وهو كناية عن قلة من يدخل الجنة من النساء ، لأن هذا الوصف في الغربان قليل [(٤)] .



---

(١) جبائر : أساور .

(٢) رواه أحمد في مسنده (٤/١٩٧ ، ٢٠٥) ، وأبو يعلى (١/٣٤٩) في مسنده . وقال الألباني : وهذا سند صحيح (السلسلة الصحيحة ٤/٤٦٦) .

(٣) أخرجه البيهقي في السنن (٧/٨٢) وهو صحيح (السلسلة الصحيحة رقم ١٨٤٩) .

(٤) الصحيحة (٤/ ٤٦٤) .

[فصل]
فى شرح ألفاظ الأحاديث

[١] قوله ﷺ : « أُريتكن » المراد أن الله تعالى أراهن له ليلة الإسراء ، وورد كذلك أنه رأى النار وأن النساء أكثر أهلها عندما صلى بالمسلمين صلاة الكسوف عندما انخسفت الشمس على عهده ﷺ [١] .

[٢] قوله ﷺ : « **تكفرن العشير** » .

يعني تَجحدن حق الزوج ، وسُمِّيَ الزوج عشيراً لأنه يعاشرها وتعاشره .

قال القاضي أبو بكر بن العربي في شرحه : وخص كفران العشير من بين أنواع الذنوب لدقيقة بديعة وهي قوله ﷺ : « **لو أمرت أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها** » ، فقرن حق الزوج على الزوجة بحق الله ، فإذا كفرت المرأة حق زوجها – وقد بلغ من حقه عليها هذه الغاية – كان ذلك دليلاً على تهاونها بحق الله ، فلذلك يطلق عليها الكفر ، لكنه كفر لا يخرج عن الملة .

[٣] قوله ﷺ : « **لا تصلي وتفطر في رمضان** » .

قال محمد فؤاد عبد الباقى : وهي فى ذلك مطيعة لربها ، ولو صامت وصلت لعصت ، وذلك لأن الطاعات ليست مُستَوِيْات ، فمن أوجب عليه ترك الصلاة فترك ، ليس كمن أوجب عليه الصلاة فصلى [٢] .

[٤] قوله ﷺ في حديث ابن عباس رضي الله عنهما : « **يكفرن بالله ، قال : يكفرن العشير** » .

---

(١) أخرجه البخارى (١٠٥٢) وراجع الفتح (٦٢٧/٢) باب صلاة الكسوف جماعة .
(٢) سنن ابن ماجه بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقى (١٣٢٦/٢) .

قال الحافظ : قال الكرماني : لم يُعدَّ كفر العشير بالباء كما عدى الكفر بالله ، لأن كفر العشير لا يتضمن معنى الاعتراف .

وقوله ﷺ : « **ويكفرن الإحسان** » .

قال الحافظ : كأنه بيان لقوله : « **يكفرن العشير** » لأن المقصود كفر إحسان العشير لا كفر ذاته .

وقوله ﷺ : « **شيئاً** » .

قال الحافظ : التنوين فيه للتقليل . أي شيئاً قليلاً لا يوافق غرضها من أي نوع كان [١] .

[٥] قوله ﷺ : « **إن أقل ساكني الجنة النساء** » :

قال المناوي : أي في أول الأمر قبل خروج عصاتهن من النار ، فالأدلة فيه على أن نساء الدنيا أقل من الرجال في الجنة ، وقال بعض المحققين : القلة يجوز كونها باعتبار ذواتهن إذا أريد ساكني الجنة المتقدمين في دخولها وكونها باعتبار سكناهن بأن يحبسن في النار كثيراً فيكون سكناهن في الجنة قليلاً بالنسبة لمن دخل قبلهن ، وإنما قلنا ذلك لأن السكنى في الجنة غير متناهية فلا توصف بقلة ولا كثرة [٢] .

[٦] قوله ﷺ : « **ناقصات عقل ودين** » [٣] :

المراد بالعقل في اللغة : الربط والتقييد والإمساك : يقال : « عَقَل إذا أمسكها وربطها وقيَّدها » .

وعلى هذا كان العقل ممسكاً صاحبه عن الزلل ، مقيداً إياه عن الخطأ ، ويقال فلان « عاقل » إذا كان رشيداً حكيماً حازماً قادراً على ضبط نفسه

---

(١) الفتح (١٠/٦٣٠ ، ٦٣١) .
(٢) فيض القدير (٢/٤٢٨) رقم (٢٢١٥) .
(٣) هل هن ناقصات عقل ودين ؟! لمحمد سلامة جبر – بتصرف واختصار – .

وإمساكها عن الميل مع الأهواء .

إذا تبين هذا فالعقل عند النساء بالمعنى اللغوي المذكور ، ينزل درجة عن العقل عند الرجال ، وذلك ظاهر لا ينكر .

مما يترتب على ذلك ، ما نراه واضحاً جلياً في طبائع النساء من سرعة الغضب والرضا وعدم التماسك أمام الأهواء ودواعي الإغواء ، وسرعة الاستجابة لدعاة الفتنة والضلال ، وغفلتهن عما يراد لهن وبهن من السقوط في مهاوي الرذيلة باسم الحضارة والتحرر من قيود الدين والتقليد .

ولذا فإن هذا النقص عند المرأة ، وهو غلبة الانفعال عليهن وعدم التماسك كما ذكرنا هو أحد لوازم الأنوثة وخصائصها ، وعليه فهو صفة كمال تتم به أنوثة الأنثى ، وليس عيباً يحط من قدرها ، فما يتم به كمال امرأة يُعد من عيوب الرجل ، وما يتم به كمال الرجل يُعد عيباً من عيوب المرأة .

ووجه آخر من وجوه نقصان عقل المرأة : هو عدم القدرة على إبداء الحجة وإظهار الحق والتعبير باللسان عما في الجنان .

قال تعالى : ﴿ أَوَمَن يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ (١٨) ﴾ [الزخرف : ١٨] .

فالبنات ينشأن في الحلية : أي أنواع الحلي والزينة ويربين على ذلك ، وهذا يشير إلى ضعفهن ورقتهن .

فهاتان الصفتان وهما :

١ – النشأة الناعمة في الحلي والحُلل .

٢ – عدم القدرة على البيان عما في الجنان .

ينشأ عنهما ضعف الحجة وقصور البيان .

فإن قلت : وما وجه ذكر النشأة الناعمة في أنواع الزينة ومظاهر الدلال

في سياق تعدد ألوان نقصان الأنثى ؟ .

قلت : هذا النقصان نسبي إضافي ، وليس نقصاناً مطلقاً من كل وجه ، وهذا كما لو قلنا : المرأة مبتلاة بالحيض والحمل والرضاع .

فهذا من خصائص النساء ، ولا تتم أنوثة المرأة إلا به ، ومع ذلك تنزلها تلك الصفات عن الكمال بالإضافة إلى الرجل ، ولا يخفى ما في الحيض والحمل والإرضاع من مشقة تبلغ حد المرض أو تزيد ، ولهن لقاء ذلك أجرهن عند الله ، ومكانتهن عند الرجل الصالح ، ومع هذا فهو من قسم البلاء المستلزم لنوع من النقصان ، وإن كان محبوباً ، فسبحان من جعل في نوع من النقصان نوعاً من الكمال ، وجعل في نوع من الكمال نوعاً من النقصان ! .

فإن قلت : النساء مشهورات بكثرة الكلام شهرة ظاهرة للعيان ، فما وجه وصفهن في الآية بعدم القدرة على البيان ؟! .

قلت : نص الآية :﴿ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴾ ، وهذا يعنى أن المرأة إذا وقفت موقف الخصومة لتبين الحق وتبطل الباطل ، فإنها تقصر عن الكمال في البيان ، ولعلها تتكلم ساعات متواصلة ، غير أنها تفتقر إلى الصياغة المتقنة ، والحجة الدامغة ، والقول المبين !! .

وهذا القصور في الحجاج أحد مظاهر نقصان العقل عند النساء ، وسره ما فطرهن الله عليه من خصائص تعينهن على أداء وظيفة الأمومة . إذا تبين هذا فنقصان العقل في المرأة كمال لها من وجه آخر ، لأن كمال المرأة في حسن عشرتها وطاعتها لزوجها في المعروف وصبرها على مشاق الحمل والرضاعة والقيام على رعاية الأسرة ، وهذا الكمال من هذا الوجه لا يتحقق إلا بغلبة مشاعر القلب على تفكير العقل .

ومن مستلزمات قصور البيان عند النساء سوى ما تقدم ، ما هو معروف عنهن من الكيد والكذب﴿ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴾ [يوسف : ٢٨] .

وهذا الكيد ليس وقفاً على غير الصالحات من النساء بل صدر ويصدر عن كثير من الصالحات القانتات ، ولكن سرعان ما يعصمهن دينهن من التمادي في الكيد والإصرار على الكذب .

يعني أن الفارق بين فضليات النساء وسائرهن ، سرعة فيئهن إلى الحق واعترافهن بالخطأ واعتذارهن ممن له الحق عليهن .

[٧] قوله ﷺ : « **ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهبَ لِلُب الرجل الحازم من إحداكن** » :

[إن خلق المرأة على الصفة التي ذكرها رسول الله ﷺ في الحديث المتقدم وصرح لهن فيه بأنهن غالبات للرجل على الرغم من نقصان عقولهن ودينهن ، هذا لا يستلزم كمال كل الرجال ونقصان كل النساء ، فما أكثر الرجال الحمقى وما أقل العقلاء ، وكم من امرأة عاقلة فاضلة تزن عند الله آلاف الرجال ، وذلك معروف مشهود ، ويوسع كل امرأة تؤمن بالله ورسوله أن تبلغ بإذن الله كمالها الذى خلقت له ، إذا سلَّمت لحكم الله ورضيت بقضائه ، وأدت حق الله وحق الزوج وحق الولد] (١) .



(١) المصدر السابق .

الباب الثاني
لماذا كانت النساء أكثر أهل النار ؟

قال القرطبى - رحمه الله - :

(قال علماؤنا : إنما كان النساء أقل ساكنى الجنة لما يغلب عليهن من الهوى والميل إلى عاجل زينة الدنيا لنقصان عقولهن أن تنفذ بصائرها إلى الأخرى ، فيضعفن عن عمل الآخرة والتأهب لها ولميلهن إلى الدنيا والتزين بها ولها ، ثم مع ذلك هن أقوى أسباب الدنيا التي تصرف الرجال عن الأخرى لما لهم فيهن من الهوى والميل لهن ، فأكثرهن معرضات عن الآخرة بأنفسهن ، صارفات عنها لغيرهن ، سريعات الانخداع لداعيهن من المعرضين عن الدين ، عسيرات الاستجابة لمن يدعوهن إلى الأخرى وأعمالها من المتقين .

ومن كلام أمير المؤمنين عليّ بن أبى طالب رضي الله عنه :

أيها الناس لا تطيعوا للنساء أمراً ، ولا تأمنوهن على مال ، ولا تدعوهن يدبرن أمر عشير ، فإنهن إن تُركن وما يُردن أفسدن المُلك وعصين المالك ، وجدناهن لا دين لهن في خلواتهن ولا ورع لهن من شهواتهن ، اللذة بهن يسيرة ، والحيرة بهن كثيرة .

قال الحافظ بن دحية : تحفظوا عباد الله منهن وتجنبوا غيَّهن ولا تثقوا بودِّهن ولا عهدهن ففي نقصان عقولهن ودينهن ما يغني عن الإطناب فيهن)[1] .

ويقول محمد سلامة جبر : « إذا كان في النساء نقص في عقولهن ودينهن فذلك لشدة انفعالهن ، وحدَّة عاطفتهن ، وغلبة رغباتهن ، وهذه

---

[1] التذكرة باختصار (ص ٤٢٩) باب ما جاء فى أكثر أهل الجنة وأكثر أهل النار .

خصائص جبلية فطرية لابد منها لكمال أنوثة الأنثى ، واستعدادها لأداء ما خلقت من أجله ، واحتمالها لمشقات الحمل والرضاعة ، واستعذابها لعذاب العناية بأطفالها والسهر عليهم » (١) .

[فصل]

وهذه جملة من الأحاديث الشريفة تبين لنا هلاك المرأة واستحقاقها غضب المولى عز وجل ، ودخولها النار بسبب ترك بعض الطاعات العظيمة ، إلا أن تتوب إلى الله تعالى .

[١] عصيان الزوج :

فعن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً : « **اثنان لا تجاوز صلاتهما رؤوسهما : عبد أبق من مواليه حتى يرجع إليهم ، وامرأة عصت زوجها حتى ترجع** » (٢) .

وفي رواية لابن ماجه : « **وامرأة باتت وزوجها عليها ساخط** » (٣) .

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « **لا ينظر الله إلى امرأة لا تشكر لزوجها ، وهي لا تستغني عنه** » (٤) .

فاستحقت المرأة البعد عن الله وغضبه بسبب عصيانها لأمر زوجها ، فحق الزوج عليها عظيم ، وقدره عندها كبير ، لذا فيجب على المرأة المسلمة التقية أن تعيَ ذلك وأن تقوم بحقوق زوجها خير قيام .

---

(١) هل هن ناقصات عقل ودين .
(٢) أخرجه الطبراني ، والحاكم ، و حسنه الألباني (صحيح الجامع ١٣٥ ، والصحيحة ٢٨٧) .
(٣) قال البوصيري في الزوائد (١ / ٣٣٠) : هذا إسناد صحيح.
(٤) رواه النسائي وغيره ، و صححه الألباني (الصحيحة ٢٨٩) .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في بيان عظم حق الزوج : « وليس على المرأة بعد حق الله ورسوله أوجب من حق الزوج »[(١)] .

وروى البخارى عن أبى هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فأبت ، فبات غضبان عليها ، لعنتها الملائكة حتى تصبح » .

إن [طاعة الزوجة لزوجها حق له تستلزمه مكانته فى الأسرة بصفته قيماً لها ، فمن كانت له القوامة حقت له الطاعة ، فالطاعة إذاً هى الوجه المقابل للقوامة ، وإذا انتفت أصبحت القوامة مهمة إسمية جوفاء لا تطبيق لها فى واقع الحياة الزوجية .

وليست طاعة المرأة لزوجها إلا فرعا من طاعة أولىّ الأمر التى فرضها الله على عبادة المؤمنين ، ففى سورة النساء نجد قوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ [النساء : ٥٩] ، فالزوج يعتبر ولي أمر الزوجة ، وبالتالى يجب طاعته ضمن حدود دائرة طاعة الله ورسوله ﷺ ، ومن تشق عصا الطاعة على زوجها فقد عصت ربها ، وقد أكد الله تعالى هذه الصفة فى الزوجة الصالحة فى سياق آية القوامة ، فبعد إقرار مبدأ قوامة الرجل وبيان مسوغاتها وصف الله جل وعلا النساء الصالحات وصفاً خبرياً بقوله : ﴿ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ ﴾ [النساء : ٣٤] .

ونفهم من تعريف « الصالحات » أنهن المتحققات بكمال صفة الصلاح نظراً إلى أن أداة التعريف هنا تدل على الكمال بإعتبار استغراق هذه الأداء لكل عناصر الصلاح كما يقول علماء البلاغة .

---

(١) مجموع الفتاوى (٣٢/٢٧٥) .

أما وصف الصالحات بأنهن ﴿ قَانِتَاتٌ ﴾ فهو يدل على أن المرأة الصالحة لا يوجد فيها نقيض هذا الوصف ، وهذا أبلغ من أمرهن بالطاعة وحفظ الغيب ونهيهن عن المعصية وخيانة الأمانة ، وهو أسلوب تربوى ربانى حكيم يعتمد على استخدام التوجيه غير المباشر بالتكليف مما يتلاءم والنفس البشرية .

كما يدل على أن هاتين الصفتين هما بمثابة نتيجة لازمة لصلاحهن وانصياعهن لقوامة أزواجهن وحمايتهن .

ولا تتجلى أهمية هاتين الصفتين إلا بتحليل معناهما : ﴿ قَانِتَاتٌ ﴾ مأخوذة من القنوت ، والقنوت فى كتب اللغة الطاعة والقانت المطيع ، فالقانتات : المطيعات ، والسياق هنا يشير إلى طاعتهن أزواجهن وطاعتهن الله بقيامهن بما يتوجب عليهن من حقوق الله وحقوق أزواجهن ، وهذا ما ذكره المفسرون القدماء ، وقد أشار الإمام الرازى فى تفسيره إلى هذا المعنى بطريقة استنباطية بقوله :

« واعلم أن المرأة لا تكون صالحة إلا إذا كانت مطيعة لزوجها ، لأن الله تعالى قال : ﴿ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ ﴾ والألف واللام فى الجمع يفيد الاستغراق ، فهذا يقتضى أن كل امرأة تكون صالحة فهى لابد وأن تكون قانتة مطيعة » .

وأما قوله تعالى بوصفه ﴿ قَانِتَاتٌ ﴾ بأنهن أيضاً ﴿ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ ﴾ فهو معنى آخر مكمل لصفة الطاعة مبيناً دوافعها وأسبابها متضمناً بنودها .

وقد ذهب معظم كبار المفسرين إلى عدة معان مستخلصة من هذه الآية ، كلها تدور حول ما تقدم ، فالحفظ للغيب يشمل كل ما على المرأة حفظه فى غيبة زوجها فيما استؤمنت عليه من ماديات ومعنويات ، بما فى ذلك أمور تتعلق بنفسها وأنوثتها وعرضها ، وأخرى تتعلق بزوجها من أسرار وأهل وولد

وبنت ومال ، والغيب يشمل أيضاً كل ما غاب من علم الزوج واستتر عنه فى حضوره وغيابه ، ومن تحفظ ما استؤمنت عليه فى غياب زوجها تكون قد استحقت لقب الصالحة القانتة « المطيعة » يحدوها فى ذلك أمور مختلفات نستشفها من قوله تعالى :﴿ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ ﴾ ، وقد أشار المفسرون إلى هذه المعانى وفسروها بمعان عدة يظهر منها بالتدبر ما يلى :

[١] ﴿ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ ﴾ أى بمقابل ما حفظ الله لهن من حقوق عند أزواجهن وغيرهم ، ومما حفظ لهن من حقوق عند الأزواج ... حسن المعاشرة ، والقيام ، والقوامة على الوجه الصحيح وتأدية النفقة وغيرها ... وهذا يجرى مجرى هذا بذاك ، أى أن مطالبة الزوجة بالطاعة وبالحفظ وبالغيب هو مقابل بما حفظ الله لها بأحكامه الشرعية فى المجتمع .

[٢] ﴿ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ ﴾ أى بحدود ما أمر الله بحفظه من أشياء ، وتدخل فيها طاعة الزوج وتأدية حقوقه لأن الله أمر بذلك .

وكما أوصى الرسول الكريم عليه أفضل الصلاة والتسليم معشر الرجال بحسن عشرة النساء فى مناسبات مختلفات استناداً إلى المبدأ الشرعى الذى دل عليه قول الله عز وجل فى سورة النساء﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ [النساء : ١٩] ، فقد أكد على صفة الطاعة وطلب رضى الزوج من قبل النساء ، والأحاديث الواردة بهذا الشأن كثيرة منها ما يلى : قوله ﷺ :« **إذا صلت المرأة خمسها وصامت شهرها ، وحفظت فرجها ، وأطاعت زوجها ، دخلت الجنة** » .

بل إن طاعة المرأة لزوجها وحسن تقبلها له يرفع أجرها إلى مرتبة المجاهدين فى سبيل الله ، وقد أخرج البزار والطبرانى من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن المرأة قالت : يا رسول الله أنا وافدة النساء إليك ! ثم ذكرت ما للرجال من الجهاد وغيره من الأجر والغنيمة . ثم قالت : فما لنا من ذلك ؟ فقال رسول الله ﷺ :

« أبلغى من لقيت من النساء أن طاعة الزوج واعترافاً بحقه يعدل ذلك ، وقليل منكن من يفعل » .

وطاعة المرأة لزوجها ينطبق عليها ما ينطبق على طاعة أولى الأمر التى حددها الرسول عليه الصلاة والسلام بقوله : **« إنما الطاعة فى المعروف »** وبقوله : **« لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق »** ، فطاعة المرأة لزوجها لا تعنى أن تكون طاعة عمياء تلغى فيها شخصية المرأة لتكون أشبه بآلة تنفذ دون تفكير أو روية ، بل لابد أن تكون طاعة متبصرة رشيدة ، تعى فيها المرأة ما عليها القيام به وتدرك أن سلوكها هذا فيه مصلحتها ومصلحة أسرتها بكافة أفرادها، ومصلحة مجتمعها ، مع ضرورة الإشارة إلى أن باب الشورى والمراجعة فى بعض الأمور فى الأسرة أمر مباح ابتداءً . وقد روت كتب السيرة أن نساء النبى ﷺ كن يراجعنه « يناقشن أوامره» وتهجره الواحدة منهن اليوم إلى الليل أى طول النهار.

وتطلب الطاعة من الزوجة في مسيرة الحياة الزوجية في أمور عدة أهمها :

عدم عصيان الزوج فى أدائه حقه الغريزى الذى شرعه الله له ، وهذا الأمر بالذات بالإضافة إلى أنه حق خاص للزوج ابتداءً فقد قال تعالى بشأنه : ﴿ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ﴾ [البقرة : ٢٢٣] ، فإن تقاعس الزوجة أو امتناعها عن أدائه يعتبر من كبائر الذنوب التى ترتكبها الزوجة فى حق زوجها ، وقد أكد الرسول الكريم على ذلك بأحاديث مختلفة منها :

عن أبى هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **« إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فلم تأته فبات غضبان عليها لعنتها الملائكة حتى تصبح »** [متفق عليه].

وفى رواية لهما : **« إذا باتت المرأة هاجرة فراش زوجها لعنتها الملائكة حتى تصبح »** ، وفى رواية أخرى قال ﷺ : **« والذى نفسى بيده ما من رجل**

يدعو امرأته إلى فراشها فتأبى عليه إلا كان الذى فى السماء ساخطاً عليها حتى يرضى عنها »

ومراعاة لهذا الحق فلا يجوز للمرأة أن تصوم صيام تطوع وزوجها شاهد إلا بإذنه ، فعن أبى هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن الرسول ﷺ أنه قال : « **لا تصوم المرأة وبعلها شاهد إلا بإذنه** » [أخرجه البخارى] .

ومن هذه الأمور عدم عصيان الزوج فى إدخال بيته من يكره أو يمنع من دخوله كائناً من كان ، ففى الحديث قوله ﷺ عن أبى هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : « **لا يحل للمرأة أن تصوم وزوجها شاهد إلا بإذنه ، ولا تأذن فى بيته إلا بإذنه** » [متفق عليه] .

وكذلك الأمر إذا منعها من الخروج فعليها أن تمتثل وتقر فى بيتها ، فعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن الرسول ﷺ قوله : « **أيما امرأة خرجت من بيتها بغير إذن زوجها كانت فى سخط الله تعالى حتى ترجع إلى بيتها أو يرضى عنها زوجها** »

ومن طاعة الزوج التى يشملها حفظ الغيب محافظة المرأة على نفسها وعلى بيت زوجها وولده وماله وأن ترعى ذلك حق الرعاية فتعف عن كل ما حرم الله وكره الزوج ، ولا تتصرف فى مال زوجها من غير إذنه ، ولا تنشئ أولادها على أمر لا يرضاه الله ولا زوجها ، وقد وصف الرسول الكريم المرأة الصالحة بقوله : « **ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله خيراً له من زوجة صالحة ، إن أمرها أطاعته ، وإن نظر إليها سرته ، وإن أقسم عليها أبرته ، وإن غاب عنها نصحته فى نفسها وماله** »

ومن بنود الطاعة أيضاً متابعة الزوجة بعلها فى المسكن طالما كان مستوفياً الشروط الشرعية وكان الزوج قائماً بحقوقها كاملة ، وإلا فما معنى « الزوجية » إذا كان كلٌّ من شطريها فى طرف ؟ وأين ظلال السكن والمودة والرحمة ؟

ومن فعلت خلاف ذلك تعتبر ناشزة عاصية يحق للزوج إلزامها بالعودة إلى المتابعة بالمسكن بسلطة القضاء الشرعى .

ويتجلى حق الزوج فى الطاعة من قبل الزوجة فى أبرز صورة فى مجال تأديبها فى حال نشوزها وفق المراحل المتدرجة التى أمر بها الشارع الحكيم : الوعظ ، فالهجر فى المضجع ، فالضرب غير المبرح المأذون به شرعاً وفق شروط محددة حتى تفئ إلى أمر الله وترجع إلى الطاعة التى تعتبر سياجاً يحميها من أى تمادٍ من قبل الزوج أو طغيان بغير حق ﴿ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً ﴾ [النساء : ٣٤] ، وهذا الأمر فى آية القوامة يحجم دور الزوج ضمن الحدود التى رسمها الشارع ويمنعه من استخدام ما خوله الله من سلطة فى ردعها عن عصيانه فى غير وجه حق .

والمرأة الصالحة القانتة مطيعة بالفطرة ، ومطيعة بالفكرة ، أما طاعتها بالفطرة فتعود إلى ما جبلت عليه من صفات وغرائز تتناسب مع المهمات التى خلقت المرأة من أجلها ، وأما طاعتها بالفكرة فترجع إلى أن المرأة العاقلة الصالحة تدرك ما لها وما عليها ، وترى أن من واجب الرعية طاعة راعيها لما فى ذلك من المصلحة العامة ، لا سيما وأن جو السكن الأسرى النفسى المفروض توافره فى الأسرة المسلمة لا يمكن تحقيقه إلا إذا تحققت القوامة الرشيدة من قبل الزوج ، والطاعة المتبصرة الحميدة من قبل الزوجة مع ضرورة الإشارة هنا إلى أن طاعة الزوجة سلباً أو إيجاباً تسرى إلى أولادها بالقدوة والتقليد .

ويكفى المرأة عظة هذا الحديث : عن عبد الله بن أبى أوفى رضي الله عنه عن الرسول ﷺ قال : « **لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لغير الله لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها والذى نفس محمد بيده لا تؤدى المرأة حق ربها حتى تؤدى حق زوجها كله حتى لو سألها نفسها وهى على قتب لم تمنعه** »

[رواه أحمد وابن ماجه وابن حبان فى صحيحه] .

هذه الوصايا بطاعة الزوجة لزوجها تجعل البيت المسلم مملكة من السعادة والهناء والفرح والسرور والاستقرار النفسى والسكن السعيد وبغير الالتزام من الطرفين بهذا المنهج القويم يتحول البيت إلى قطعة من الجحيم وحقل من الألغام التى تفجر أركانه وتفوض بنيانه .

﴿ فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَىٰ (١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا (١٢٥) قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ (١٢٦) وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِن بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰ (١٢٧) ﴾ [طه : ١٢٣ – ١٢٧] [(١)] .

[٢] التبرج :

(التبرج هو أن تظهر المرأة للأجانب الذين ليسوا من محارمها ما يوجب عليها الشرع أن تستره من زينتها ومحاسنها .

وقد بين الشيخ المودوى أن كلمة التبرج إذا استعملت للمرأة كان لها ثلاثة معان :

- أن تبدى للأجانب جمال وجهها ومفاتن جسدها .
- أن تبدى لهم محاسن ملابسها وحليها .
- أن تبدى لهم نفسها بمشيتها وتمايلها وتبخترها .

والتبرج محرم فى الكتاب والسُّنة وإجماع الأمة ، وما تفعله أكثر نساء هذا الزمان من التهتك والتبرج وإظهار الزينة والذهب ما هو إلا مجاهرة بالعصيان وتشبه بالكافرات وإثارة للفتنة .

---

(١) نصائح ووصايا للنساء ، ماجد سليمان دودين ص(٢٦ : ٣١) .

وذلك أن خروج المرأة وقد كشفت رأسها أو عنقها أو نحرها أو ذراعيها أو ساقيها من أعظم المنكرات المخالفة للشرع المطهر .

وكذلك خروجها بالثياب المظهرة للمفاتن أو الشفافة التى لا تستر ما تحتها فهذا ونحوه كله من التبرج الذى حرمه الله ورسوله ﷺ .

ومن أعظم الذنوب وأضر الفتن ما تفعله أكثر نساء هذا الزمان من خروجهن من بيوتهن فاتنات مفتونات على حال من التبرج والطيب وإظهار المفاتن ومخالطة الرجال .

لقد جاءت الآيات القرآنية والأحاديث بالنهى عن التبرج وتحريمه ، والوعيد الشديد لما يترتب عليه من المفاسد ، فمنها قوله تعالى : ﴿ **وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَىٰ** ﴾ [الأحزاب : ٣٣] ، أى : « إلزمن بيوتكن فلا تخرجن لغير حاجة ، فإذا خرجت استشرفها الشيطان » .

ويلاحظ فى هذه الآية أن الخطاب موجه لأطهر النساء رضي الله عنهن ، موجه إلى أمهات المؤمنين وهن القدوة الحسنة لغيرهن ، والنموذج الطيب لنساء المؤمنين جميعاً فى كل زمان ومكان ، فالخطاب إلى نساء النبى ﷺ خاصة ، ولنساء المسلمين عامة ،ويدل على ذلك عموم الأحكام المذكورة قبل هذه الآية وبعدها من عدم الخضوع بالقول للرجال ، والأمر لهن بالقول المعروف الذى لا مطمع فيه للرجال والنهى عن تبرج الجاهلية الأولى ، والأمر بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وطاعة الله ورسوله ، فإن هذه الأوامر أحكام عامة لنساء النبى ﷺ وغيرهن .

ويبين النبى ﷺ ويحذر من التبرج والسفور ولبس الرقيق والقصير من الثياب لأن هذه الأفعال تقود أصحابها إلى الحرمان من الجنة : « **صنفان من أهل النار لم أرهما : قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ، ونساء كاسيات عاريات مائلات مميلات ، رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة ، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها ، وإن ريحها ليوجد من**

مسيرة كذا وكذا » [رواه مسلم] .

وهذا الحديث من معجزاته ﷺ لقوله : « لم أرهما » حيث وجدت النساء الكاسيات بما عليهن من ثياب قصيرة ، العاريات بما ظهر من أجسادهن ، ووجدت النساء الكاسيات بما عليهن من ثياب وخمر شفافة لا تستر ما تحتها فهن عاريات بما يظهر من أجسادهن من وراء تلك الثياب، وشبيه بالعري ، بل قد يكون أبلغ منه في الفتنه لبس الثوب الضيق الذى يظر مفاتن المرأة ومعازلها.

وبناءً على ما تقدم فالتبرج يضر النساء والرجال في الدنيا والآخرة ويزرى بالمرأة ويدل على جهلها وهو حرام على الشابة والعجوز والجميلة وغيرها ، فتبرج المرأة ضرره عظيم وخطره جسيم لأنه يخرب الديار ويجلب الخزى والعار ويدعو إلى الفتنة والدمار . لقد اتبعت المرأة المتبرجة خطوات الشيطان ، وخالفت أوامر السُّنة والقرآن ، وتعدت حدود الله واجترأت على الفسق والعصيان وإن مما يحز في النفس ويبكى العين ويؤلم القلب ما يشاهد من آلاف الفتيات في الشوارع والمدارس والمعاهد والمشافى والمصانع والجامعات وهن سافرات الوجوه ، كاشفات الأذرع ، عاريات السيقان ولا يلتفتن إلى أوامر العزيز الجبار وأوامر النبى ﷺ الناهية عن التبرج والسفور والأمرة بالستر والتستر والحجاب) [١] .

وعن أبي أذينة الصدفي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « خير نسائكم الودود الولود ، المواتية المواسية ، إذا اتقين الله، وشر نسائكم المتبرجات المتخيلات ، وهن المنافقات لا يدخل الجنة منهن إلا مثلُ الغراب الأعصم » [٢] .

وعن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ أنه قال : « أيما امرأة وضعت ثيابها في غير بيت زوجها ، فقد هتكت ستر ما بينها وبين الله عز وجل » [٣] .

---

(١) نصائح ووصايا للنساء(ص ٨٠ - ٨٦)

(٢) مجموع الفتاوى(٣٢ / ٧٥

(٣) سبق تخريجه .

وعن فضالة بن عبيد رضي الله عنه مرفوعاً : « **ثلاثة لا تسأل عنهم : رجل فارق الجماعة وعصى إمامه ومات عاصياً ، وأمة أو عبد أبق فمات ، وامرأة غاب عنها زوجها قد كفاها مُؤْنة الدنيا فتبرجت بعده ، فلا تسأل عنهم ... الحديث** » [(١)] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **صنفان من أهل النار لم أرهما ، قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ، ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات ، رؤوسهن كأسنمة البُخْت المائلة ، لا يدخلن الجنة ، ولا يجدن ريحها ، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا** » [(٢)] .

ولقد كان التبرج سبباً من أسباب دخول المرأة النار لما فيه من أخطار ومهالك عظيمة :

« فبسبب التبرج كثر الفسق ، وانتشر الزنا ، وانهدم كيان الأسرة ، وأُهملت الواجبات الدينية ، وتُركت العناية بالأطفال ، واشتدت أزمة الزواج ، وأصبح الحرام أيسر حصولاً من الحلال .

وبالجملة ، فقد أدى هذا التهتك إلى انحلال الأخلاق وتدمير الآداب التي اصطلح الناس عليها في جميع المذاهب والأديان » [(٣)] .

وقد بيَّن السيد عبد الباقي رمضون أن عواقب التبرج والاختلاط تتركز فيما يلي :

١ ــ حلول الزنا والسفاح محل الزواج الشرعى .

٢ ــ فساد الأسرة وانهدام العائلة وتفشي الطلاق .

---

(١) أخرجه البخارى فى الأدب المفرد وابن حبان وغيرهما (الصحيحة ٥٤٢) .
(٢) رواه مسلم .
(٣) المتبرجات ، للزهراء فاطمة بنت عبد الله (ص ٦٠) .

٣ ـ شيوع الفواحش وسيطرة الشهوات .

٤ ـ انهيار الاقتصاد لضعف القوى وقلة الإنتاج وفساد التجارة .

٥ ـ القضاء على النسل البشري والنوع الإنساني بسبب زوال الأسرة الزوجية ، وحلول الزنا محل الزواج .

٦ ـ انتشار العادات السيئة والفواحش الخطيرة ، كالاستمناء ، واللواط ، والسحاق .

٧ ـ ظلم المواليد والأطفال بدور الحضانة ؛ حيث يعيش الطفل محروماً من حياة الأسرة المترابطة .

٨ ـ شقاء الرجل والمرأة على السواء بإهمال البيت .

٩ ـ الانهيار الخلقي الشامل [(١)] .

[٣] سؤال المرأة زوجها الطلاق في غير بأس :

عن ثوبان رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **أيما امرأة سألت زوجها طلاقاً في غير بأس فحرامٌ عليها رائحة الجنة** » [(٢)] .

قال المباركفوري رحمه الله :

قوله ﷺ : « **فحرام عليها رائحة الجنة** » : أي ممنوع عنها ، وذلك على نهج الوعيد والمبالغة في التهديد ، أو وقوع ذلك متعلق بوقت دون وقت : أي لا تجد رائحة الجنة أول ما وجدها المحسنون ، أو لا تجد أصلاً ، وهذا من المبالغة في التهديد ، ونظير ذلك كثير .

قال القاضي : قال القاري : ولابد أنها تجد لذة الرائحة ولو دخلت

---

(١) خطر التبرج والاختلاط ، باختصار وتصرف (ص ٨٠) .

(٢) أخرجه أبو داود (٢٢٢) والترمذي (١١٩٨) وقال : هذا حديث حسن ، وابن ماجه (٢٠٥٥) وأحمد (٥/ ٢٧٧ ، ٢٨٣) وغيرهم ، وصححه الألباني رحمه الله (صحيح الجامع ٢٧٠٦) .

الجنة [(١)] .

فما أسوأ هذه المرأة التي فيها هذه الصفة الذميمة ، وهي التي تسأل زوجها الطلاق لغير سبب شرعي فتقول : طلقني ، طلقني ، والتي تجني ثماره خراب بيتها وأولادها – إن كان عندها أولاد – وهي ولا شك غير المرأة المؤمنة الصالحة القانتة لربها المطيعة لزوجها ، الخاضعة له ، حسنة الخلق ، مستقيمة السلوك .

[٤] النياحة على الميت :

عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « **النائحة إذا لم تتب قبل موتها ، تُقام يوم القيامة وعليها سربالٌ من قَطِران ، ودِرعٌ من جَرَب** » [(٢)] .

فالنواح من أخلاق الجاهلية التي نهانا عنها الإسلام ، فيجب على المرأة المسلمة أن تتخلى عن هذه الصفة الذميمة والتي تغضب الله عز وجل ، وتأتى بصاحبتها يوم القيامة وعليها قميص من سائل أسود منتن ، من شأنه أنه يزيد في شدة النار ، وحرق اللحم والعظام ، ودرع من جرب ، وهو الداء المعروف الذي يصيب الجلد .

ولذلك يزجر الرسول ﷺ ، ويوصي هذه النائحة بالتوبة النصوح قبل موتها ، وإلا نالها العذاب الشديد ، ولقد كان النبى ﷺ عندما يبايع النساء ، يشترط عليهن ألا يقعن في أمر النواح .

فعن أم عطية رضي الله عنها قالت : بايعنا رسول الله ﷺ ، فقرأ علينا : ﴿ **أَن لاَّ يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا** ﴾ [الممتحنة : ١٢] ، ونهانا عن النياحة [(٣)] .

---

(١) تحفة الأحوذى شرح سنن الترمذى (٣٠٨/٤) ، وعون المعبود (٢٢٠/٣) .
(٢) رواه مسلم وأحمد وغيرهما .
(٣) رواه البخارى (١٨٧/٦) ، ومسلم (٢٣٨/٦) ، وأبو داود (٣١٢٧) .

[٥] **التعذيب :**

قال الإمام النووي رحمه الله : باب النهي عن تعذيب العبد والدابة والمرأة والولد بغير سبب شرعي أو زائد على قدر الأدب .

ثم ذكر رحمه الله أحاديث منها : ما رواه البخارى ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « **عُذبت امرأة في هِرَّة حبستها حتى ماتت فدخلت فيها النار ، لا هي أطعمتها وسقتها إذ هي حبستها ، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض** » [١] .

[٦] **أذية الجيران :**

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قيل للنبى ﷺ : يارسول الله إن فلانة تقوم الليل وتصوم النهار ، وتفعل وتصدَّق ، وتؤذي جيرانها بلسانها . فقال رسول الله ﷺ : « **لا خير فيها ، هي من أهل النار** » . قال : وفلانة تصلي المكتوبة وتصدَّق بأثوار [٢] من الأقط ولا تؤذي أحداً . فقال رسول الله ﷺ : « **هي من أهل الجنة** » [٣] .



---

(١) رياض الصالحين (ص ٥٦٩) ، وخشاش الأرض : هوامُّها وحشراتها . راجع فتح البارى (٦/٤٠٩) كتاب بدء الخلق .

(٢) أثوار جمع « ثور » : إناء من صفر .

(٣) إسناده صحيح « السلسلة الصحيحة للألبانى » (١/٣٢٠)

الباب الثالث

مشاهير نساء أهل النار

كما في الرجال غواة وضلال يعمون عن الحق ، وإن كانوا بين أيد نورانية مشرقة ، كذلك في النساء من تكابر وتتأبى على الهداية .

فهاتان امرأتان في بيت النبوة ، كل منهما امرأة رسول كريم ، تملأ بيته أنوارُ الله وتروح عليه الملائكة وتغدو ، وهي تشهد كل هذا وتحضره ثم هي لا تنتفع بهذا النور ، بل تسلك مسلك العناد والكفر وتتحول عن زوجها إلى الجهة المعادية فحقت عليها كلمة العذاب .

قال تعالى : ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ (١٠) ﴾ [التحريم : ١٠] .

قال ابن كثير رحمه الله : ﴿ فَخَانَتَاهُمَا ﴾ أي في الإيمان ، لم يوافقاهما على الإيمان ولا صدقاهما في الرسالة ، فلم يُجدِ ذلك كله شيئاً ولا دفع عنهما محذوراً . ثم قال رحمه الله أيضاً : وليس المراد بقوله : ﴿ فَخَانَتَاهُمَا ﴾ في فاحشة بل في الدين ، فإن نساء الأنبياء معصومات عن الوقوع في الفاحشة لحرمة الأنبياء .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : ما زنتا ، أما خيانة امرأة نوح فكانت تخبر أنه مجنون ، وأما خيانة امرأة لوط فكانت تدل قومها على أضيافه .

وقال العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كانت خيانتهما أنهما كانتا على غير دينهما ، فكانت امرأة نوح تطلع على سر نوح ، فإذا آمن مع نوح أحد أخبرت الجبابرة من قوم نوح به ، وأما امرأة لوط فكانت إذا أضاف لوط أحداً أخبرت به أهل المدينة ممن يعمل السوء .

وقال الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما : ما بغت امرأة نبي قط ، إنما كانت خيانتهما في الدين [(١)] .

قال الشيخ أبو بكر الجزائري - غفر الله له - :

وهو كما قال ، فوالله ما زنت امرأة نبي قط لولاية الله تعالى لأنبيائه ، فكيف يخزيهم ويذلهم ، حاشاه تعالى أن يخزي أولياءه ، أو يذلهم ، فالمراد من الخيانة المذكورة في قوله تعالى : ﴿ فَخَانَتَاهُمَا ﴾ الخيانة في الدين وإفشاء الأسرار [(٢)] .

أولاً : قصة امرأة نوح عليه السلام : [(٣)]

مضى النهار سريعاً لتعود امرأة نوح إلى بيتها بعد ما ذهبت إلى المعبد لتعبد الأصنام ، وفي طريق العودة وجدت ابنها كنعان مُربَّد الوجه ، فأسرعت نحوه تسأله : ما بالك يا بني ؟ .

فأجابها : أرأيت ما حدث من أبي نوح ؟ ، وسألته وقد ظهر الإهتمام على وجهها : وماذا صنع يا كنعان ؟ ، قال : إنه في السوق والناس من حوله تنكر عليه ما يقول . فقالت له : وماذا يصنع في السوق ؟ أكان يريد شراء الأخشاب التي يصنع بها قطع الأثاث ؟ ،فأجابها : لم يكن يفعل ذلك .

وسألته : وماذا كان يفعل إذن ؟ ، قال لها : سمعته يقول للناس : ياقوم إني لكم نذير مبين، أن اعبدو الله واتقوه وأطيعون ... وحدَّقت امرأة نوح في وجه ابنها كنعان قائلة : إذن فأبوك لا يريد لنا أن نعبد الآلهة التي ترزقنا وترعانا! وأجابها كنعان : إنه يمقتها ويحتقرها ، ولم يقم يوماً من الأيام بتقديم القرابين كما نفعل .

---

(١) تفسير ابن كثير (٣٩٣/٤) باختصار ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٦٩٢٩/١٠) .
(٢) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير ، وبهامشه نهر الخير (٣٩١/٥) .
(٣) مستفاد من قصص النساء في القرآن الكريم لجابر الشال ، وقصص الأنبياء لابن كثير .

ومضت امرأة نوح وابنها إلى البيت ، ولم يقطع الصمت المخيم عليهما سوى سؤال كنعان لأمه : وماذا سوف نفعل يا أماه حيث يدعونا أبي إلى ما يدعو إليه قومنا ؟ ، أجابته الأم : قبحتك الآلهة يا كنعان ، أنترك ديننا ودين آبائنا وأجدادنا من أجل ما يقول أبوك ... لا ... لن يحدث هذا .

وقبل أن ينتصف الليل عاد نوح إلى داره ، كانت امرأته وابنها كنعان لم يغمض لهما جفن ، ووضع نوح عصاه إلى جوار الحائط بعد أن ألقى عليهما السلام ، وجلس وبادرته امرأته قائلة : وماذا أخرك إلى هذه الساعة من الليل ؟ .

فأجابها كنت أبلغ الناس الرسالة التي حملني الله إياها .

وسألته : أية رسالة تلك يا نوح ؟ .

فأجابها بقوله : أن يعبد الناس ربهم ، وأن يتركوا عبادة الأصنام .

فأجابته : لقد عشت معنا الأعوام الطويلة وأنت على خلاف ما يعبد قومك ، فكيف لك أن تأتي اليوم لتقول إن الله أرسلك إليهم برسالة تدعوهم إلى ترك ما يعبدون ؟! .

قال لها نوح عليه السلام : لقد اختارني الله لذلك الأمر في الوقت الذي يريد. اجمعي لي الأبناء حتى أعرض عليهم ذلك الأمر الذي دعوت إليه .

لم تتحرك الزوجة من مكانها وقد جلس إلى جوارها ابنها كنعان ، ولكنها قالت : أبناؤك نيام ، فدع ذلك الأمر حتى الصباح .

فقال نوح عليه السلام : إذن أعرض ذلك الأمر عليكما .

فأجابته : وفيم العجلة في عرض ذلك الأمر ، دعه حتى الصباح ، ولكن نوحاً قال : لابد أن أبرئ ذمتي أمام الله ، إنكما من أهل بيتي ، ولابد أن أكون أول الداعين لكما ، اشهدوا أن الله واحد لا شريك له ، وانبذوا كل ما تعبدون من دونه من أوثان وأصنام .

نظر كنعان حين سمع من أبيه نوح إلى أمه ، ونظرت أمه إليه ، ولكنها بادرت بالرد قائلة : لن نترك عبادة آلهتنا يا نوح ، إن ما تقول سوف يجلب غضب الآلهة عليك وعلينا وعلى قومنا جميعاً .

وبادر كنعان ليقول بعد أن سمع ما قالته أمه : أجل يا أبتاه ، أرى أن تكف هذا القول الذى تقوله .

ولكنَّ نوحاً عليه السلام أجابهما قائلاً :

كيف أتخلى عن رسالة كلفني الله بإبلاغها للناس ؟ ، كيف تصران على عبادة حجارة وخشب لا يضر ولا ينفع ، وتتركان عبادة الله . وصحا بقية أبناء نوح على صوت تلك المناقشة ، فقاموا ليستطلعوا الأمر ،وبادرتهم أمهم لتقول : أبوكم يريدنا أن نترك عبادة آلهتنا ، وأن نعبد إلهه الذي يقول عنه إنه أرسله لهداية الناس .

وسأل الأبناء أباهم نوحاً : ومن إلهك يا أبتاه ؟ .

قال لهم : إنه خالق السموات والأرض ، وكل ما في هذا الكون من مخلوقات ، إنه الرازق للجميع ، والمميت للجميع ، وباعث الجميع يوم الحساب ، وسأله أحد الأبناء :

وأين يوجد يا أبتاه ؟ هل يوجد في المعبد الكبير مع الألهة التي نعبدها ؟ .

وأجابه نوح عليه السلام : يا بني إن الله لا يحده مكان ولا زمان ، فهو خالق الزمان والمكان ، لا تدركه أبصارنا .

وسأله أحد الأبناء : وكيف نعلم أنه موجود ؟ .

وأجابه نوح عليه السلام : آثار قدرته سبحانه وتعالى في كل شيء أمامنا خلقه وأبدعه ، فى السماء التي رفعها بغير عمد ، في الأرض التي شق فيها الأنهار والبحار ، في المطر الذي يهطل من المساء لينبت الزرع الذي فيه حياة الناس والحيوان ، في خلق الناس وفي موتهم .

سمع الأبناء ذلك فقالوا : لقد شرح الله قلوبنا للخير الذي تدعو إليه ، هبت امرأة نوح حين سمعت من أبنائها ذلك ، ووقف إلى جوارها كنعان لتقول : لقد أفسدت عقول أبنائك بتلك الدعوة ، سوف تلعنكم الآلهة ، وسوف تنزل بكم نقمتها .

أجابها نوح عليه السلام ، وقد بدت في وجوه الأبناء دهشة : سوف ترين أن تلك الأصنام لا تملك لنفسها ضراً ولا نفعاً ، فكيف تملك لغيرها شيئاً ! .

لم تدخر امرأة نوح جهداً في التصدي لدعوة الخير التي كان يدعو إليها زوجها نوح قومه ، كلما جاءت لها واحدة من جيرانها لتسألها عن تلك الدعوة ، وهل من الخير اتباعها أم الانصراف عنها ، طلبت منها ألا تتبعها ، بل إنها قالت لها : لو كان فيها خير لاتبعتها أنا وابنى كنعان ، وتنصرف السائلة وقد تبددت من نفسها كل الشكوك حول الآلهة التي كانت تعبدها .

ومضت السنوات بزوجة نوح وهي مصرة على عنادها لدعوة الخير التي كان يدعوها إليها زوجها ، ويدعو معها كل قومه ، ولكن مضت السنوات والقلوب لا تزيدها دعوة الخير التى يدعو إليها نوح عليه السلام إلا عناداً ، ومع كل يوم يمر كانت امرأة نوح تحاول النيل من عزيمة نوح عليه السلام وهو يدعو إلى الحق. كانت تقول له : يا رجل لم يتبعك إلا قلة قليلة من الفقراء ، لولا الفقر الذي يعانون منه ما اتبعوك ، ألا يكفيك هذا كدليل على أن دعوتك باطلة !! ، الجميع يسخر منك يانوح ، ألا توفر ذلك العناء على نفسك ، وتترك تلك الدعوة التي تدعو الناس إليها .

ولكنَّ نوحاً عليه السلام كان يمضى على درب الدعوة إلى الخير ، يتحمل كل عناء وشر في سبيل إبلاغ رسالة ربه ، بالرغم من أن عدد المؤمنين به لم يزيدوا برغم مرور سنوات طويلة جاوزت المئات وهو يدعو إلى الله :

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَنَهَارًا ۝٥ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلاَّ

فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِّتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾ قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ﴿٢٤﴾﴾ [نوح : ٥ : ٢٤] .

وأمر الله نوحاً عليه السلام أن يبني سفينة ، وما كان لنوح أن يقعد عن تنفيذ ما أمره الله سبحانه به . رأته زوجته ذات يوم يحضر الأخشاب ويأمر بوضعها في ظاهر البلدة التي يعيشون بها ، وكانت تبعد كثيراً عن البحار والأنهار ، وسألته : ماذا سوف تفعل بكل هذه الأخشاب يانوح ؟ .

وأجابها بأنه سوف يصنع سفينة .

لم تُخْفِ امرأة نوح علامات الدهشة والسخرية من سماع ذلك الخبر ، وسألته : وماذا سوف تصنع بالسفينة وليس هناك بحر أو نهر تسير فيه ؟ ، وأجابها بأنها تسوف تسير حين يأتي أمر الله .

وعادت تنكر عليه : كيف يسوغ لعاقل أن يُصدق أمراً كهذا ؟! .

وردَّ عليها نوح عليه السلام قائلاً : سوف ترين ذلك الأمر واقعاً لا محالة .

وعادت مرة أخرى بعد أن انصرفت خطوات عنه حتى تسأله : أتسير تلك السفينة على الرمال ؟! .

وأجابها نوح عليه السلام موقناً : بل سوف يغرق الطوفان الأرض ، وعليها المعاندون ، ولسوف ينجو في السفينة المؤمنون معي .

ومضت امرأة نوح إلى شأنها وهي لا تصدق حرفاً واحداً مما نطق به زوجها نوح ، ولكنها في نفس الوقت كانت تعجب أشد العجب مما أخبرها به ، وسألت نفسها : ماذا سوف تفعل ؟ أيتركها نوح مع قومها الذين يتهددهم الغرق ؟ أم أنه سوف يجبرها على ركوب السفينة معه ؟ .

لم تنته من كل هذه الأفكار المتصارعة في صدرها إلا عن صوت ابنها كنعان ينادى عليها ، وانتبهت المرأة لصوته مقبلاً نحوها ليسألها : ماذا عن السفينة ؟ فقالت : أنها تحدثت بشأنها مع أبيها وأخبرها بأنه سوف يصنع السفينة .

ما كاد كنعان يسمع تلك الكلمة حتى استغرق في نوبة هستيرية من الضحك قائلاً : إذن صدق ما يقول الناس عن أبى . نظرت إليه المرأة وهي ترثي لحالها وتقول : يا لحظي التعس الذي جعلني زوجة لهذا الرجل طيلة تلك السنوات الطويلة ، كم أنا شقية تعيسة ، وأخذت ابنها بيدها لتمضي إلى المعبد الكبير ، حيث كان قومها يناقشون ما آل إليه الأمر مع نوح .

واجتمع قومها حولها يسألونها : هل صحيح ما وصل إليهم من أن نوحاً سوف يصنع سفينة ؟! وردت عليهم بأن ذلك ما سمعته من نوح نفسه ، وزاد غضب القوم ، أيصل تحدي نوح لهم إلى هذه الدرجة ! ، ولكنَّ واحداً من القوم أخبرهم بأنهم إن زادت سخريتهم من نوح ، فسوف يدفعونه دفعاً إلى الرحيل عن أرضهم .

وانفض القوم ومضوا إلى حيث كان نوح قد بدأ في تجهيز الأخشاب لصنع

السفينة ، وكان حوله نفر قليل من المؤمنين به ، يساعدونه في إعداد الأخشاب، وبدءوا في سخريتهم منه ، صاح فيه أحدهم : ما هذا يا نوح ! ، يبدو أنك سوف تأتي بالبحر إلينا هنا حتى نركب السفينة التي تصنعها في هذه الصحراء القاحلة بدلاً من جرها حتى تصل إلى البحر .

وصاح آخر : ولكن هذا سوف يستغرق مئات السنين ، ثم أكمل أحدهم ضاحكاً بسخريته : ، وسوف تشرب الرمال الماء كله ، لم يجبهم نوح على ذلك إلا بكلمات قليلة : ﴿ **إِن تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ (٣٨) فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ (٣٩)** ﴾ .

[هود : ٣٨ - ٣٩] .

قال ابن كثير - رحمه الله - : « وقد كانت سجاياهم الكفر الغليظ والعناد البالغ في الدنيا ، وهذا في الآخرة ، فإنهم يجحدون أيضاً أن يكون جاءهم رسول » .

ومضت السنوات حتى أكمل نوح عليه السلام صنع السفينة ، والسخرية لا تكف من حوله ليل نهار ، وامرأته تخبر المشركين من قومها بأخبار حزن زوجها لعدم إيمانهم بدعوته ، وكانت تزداد أفراحهم لأحزان نوح .

وصحت امرأة نوح ذات صباح على أمر دهشت له ، نوح يجمع من بيتها زوجين من كل صنف من الحيوانات والطيور ، وسألته : ماذا تصنع يانوح ؟ وإلى أين تمضي بكل هذه الحيوانات والطيور ؟ ، أتطعم بها المؤمنين معك وتذرنا ؟! .

وأجابها نوح عليه السلام : لقد أمرني ربي أن أضعها في السفينة .

فأجابته في عصبية بالغة : كيف يأمرك ربك بأمر كهذا ؟!! .

ورد عليها نوح عليه السلام : سوف أحمل في هذه السفينة من كل زوجين

اثنين ، والمؤمنين بالحق الذى أمرني ربي به .

ولكن المرأة لم تسكت ، فاندفعت قائلة : وماذا سوف تصنعون في هذه السفينة ؟ ، أتتركون بيوتكم لتعيشوا فيها مع هذه الحيوانات والطيور ؟ .

فأجابها نوح عليه السلام : سوف يغرق الطوفان كل شيء ، ولن ينجو إلا من ركب السفينة لتبدأ حياة جديدة وعالم جديد يشرق بالإيمان فجره .

لأول مرة يدخل قلب امرأة نوح خوف مما سمعت ولكنها لم تبال بهذا الخوف ، ومضت إلى قومها تخبرهم بما فعل زوجها ، وازدادت السخرية من نوح ومما صنعه .

وذات يوم استيقظ قوم نوح على الطوفان ، أبواب السماء فتحت بماء منهمر ، وعيون الأرض تفجرت ، والتقى الماء على أمرٍ قد قُدر ، وركب نوح ومعه المؤمنون في السفينة ، ولم يكن من بينهم امرأته وابنه كنعان الذي قال له حين أمره بأن يمضي معه : ﴿ سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ ﴾ .

[هود : ٤٣] .

قال ابن كثير رحمه الله: « فخالف أباه في دينه ، فهلك مع من هلك ، هذا وقد نجا مع أبيه الأجانب في النسب ، كما كانوا موافقين في الدين والمذهب » .

وغرق ابن نوح وزوجته ، وظلت قصتهما في القرآن الكريم آية أمام المؤمنين ، على أن الهداية قد تكون أبعد ما تكون حتى على أقرب الناس من الذي يدعو إليها .

ونرى أيضاً من خلالها مدى عظم هذا الدور الخبيث الذي كانت تقوم به امرأة نوح في صدّ الناس عن دعوة زوجها لعبادة الله وحده ، فاستحقت ناراً تلظى .

[فصل]

فضائل نوح عليه السلام

[١] ثناء الله عزَّ وجل عليه :

قال تعالى : ﴿ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾ ﴾ [الإسراء : ٣] .

قال القاسمي : أى لمعرفته بنعم الله واستعمالها على الوجه الذى ينبغي ، وفيه إيماء بأن إنجاءه ومن معه كان ببركة شكره ، وحثٌّ للذرية على الاقتداء به [١] .

وقال الزمخشري : قيل : كان إذا أكل قال : الحمد لله الذى أطعمنى ، ولو شاء أجاعنى ، وإذا شرب قال : الحمد لله الذى سقانى ، ولو شاء أظمأنى ، وإذا اكتسى قال : الحمد لله الذى كسانى ، ولو شاء أعرانى [٢] .

وقال ابن كثير : والظاهر أن الشكور هو الذي يعمل بجميع الطاعات القلبيَّة والقوليَّة والعمليَّة ، فإن الشكر يكون بهذا وبهذا [٣] .

[٢] أول رسول للبشر :

فقد كان بينه وبين آدم عشرة قرون كلهم على التوحيد ، ولذا قال الله عزَّ وجل : ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ ﴾ [الإسراء : ١٧] .

عن أبى هريرة رضي الله عنه في حديث الشفاعة وفيه : « **فيأتون نوحًا ، فيقولون**: يا نوح أنت أول الرسل إلى أهل الأرض ، وسمَّاك الله عبداً شكوراً ، أمَا ترى

---

(١) « محاسن التأويل » (١٠ / ٢٠١) .
(٢) « الكشاف » : (٢/ ٦٤٨) باختصار .
(٣) « قصص الأنبياء » (ص ٩١) .

إلى ما نحن فيه » [١] .

قال الحافظ : فأما كونه أول الرسل فقد استشكل بأن آدم كان نبيًا ، وبالضرورة تعلم أنه كان على شريعة من العبادة ، وأن أولاده أخذوا ذلك عنه ، فعلى هذا فهو رسول إليهم ، فيكون هو أول رسول ، فيحتمل أن تكون الأَوَّلية في قول أهل الموقف لنوحٍ مقيدة بقوله إلى أهل الأرض ؛ لأنه في زمن آدم لم يكن للأرض أهل، أو لأن رسالة آدم إلى بنيه كانت كالتربية للأولاد، واستشكله بعضهم بإدريس ولا يرد لأنه اختلف فى كونه جد نُوح كما تقدم[٢] .

[٣] أحد أولى العزم من الرسل المذكورين في آيتي الشورى والأحزاب :

قال تعالى : ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾ .

[الشورى : ١٣] .

وقال تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا (٧) ﴾ [الأحزاب : ٧] .

قال أبو السعود : وتخصيصهم بالذكر يعنى قوله : ﴿ مِنكَ ﴾ إلخ ، مع اندراجهم في النبيين للإيذان بمزيد مزيتهم وفضلهم ، وكونهم من مشاهير أرباب الشرائع ، وأساطير أولى العزم ، وتقديم نبينا عليه الصلاة والسلام لإبانة خطره الجليل [٣] .

---

(١) الحديث مخرّج فى الكتب الستة بألفاظ وطرق وهو فى البخارى (٣٧١/١٣) التوحيد ، ومسلم : (٥٣/٣ - ٦٠) الإيمان .

(٢) باختصار من « فتح البارى » (٧٣٢/٦ ، ٣٧٣) .

(٣) نقلاً عن « محاسن التأويل » (١٤ / ٢٣٠) .

[٤] استجاب الله عزَّ وجلَّ دعاءه ونجاه من الكرب العظيم وجعل ذريته هم الباقين :

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ (٧٥) وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ (٧٦) وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ (٧٧) وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ (٧٨) سَلَامٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ (٧٩) إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (٨٠) إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ (٨١) ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ (٨٢) ﴾ [الصافات : ٧٥ - ٨٢] .

قال الألوسى : ونداؤه عليه السلام يتضمن الدعاء على كفَّار قومه وسؤاله النجاة وطلب النصرة ، وقوله : ﴿ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ ﴾ قال : تالله لقد دعانا نوح حين أيس من إيمان قومه بعد أن دعاهم أحقاباً ودهوراً ، فلم يزدهم دعاؤه إلا فراراً ، فأجبناه أحسن الإجابة ، فوالله لنعم المجيبون نحن . وقوله : ﴿ وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ (٧٦) ﴾ أى : الغرق . ﴿ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ (٧٧) ﴾ حيث أهلكنا الكفرة بموجب دعائه ﴿ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴾ [نوح : ٢٦] ، وقد روى أنه مات كل من فى السفينة ولم يعقبوا عقبا باقيًا غير أبنائه الثلاثة سام وحام ويافث وأزواجهم ، فإنهم بقوا متناسلين إلى يوم القيامة .

أخرج الترمذى وحسنه وابن سعد وأحمد وأبو يعلى وابن المنذر وابن أبى حاتم والطبرانى والحاكم وصححه عن سمرة أن النبى ﷺ قال : « سام أبو العرب ، وحام أبو الحبش ، ويافث أبو الروم » .

وعلى كون الناس كلهم من ذريته عليه السلام استدل بعضهم بالآية .

وقالت فرقة : أبقى الله تعالى ذرية نوح عليه السلام ومدَّ فى نسله وليس الناس منحصرين فى نسله ، بل من الأُمم من لا يرجع إليه . حكاه فى « البحر » .

قال : والحصر فى الآية بالنسبة إلى من فى السفينة ، وهو لا يستلزم عدم

بقاء ذرية من لم يكن معه ، وكان في بعض الأقطار الشاسعة التي لم تصل إليها الدعوة ، ولم يستوجب أهلها الغرق كأصل الصين كما يزعمون [(١)] .

قوله : ﴿ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ (٧٨) سَلَامٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ (٧٩) إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (٨٠) إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ (٨١) ﴾ .

قال الزمخشري : معناه : الدعاء بثبوت هذه التحية فيهم جميعاً ، وأن لا يخلو أحد منهم منها ، كأنه قيل : ثبَّت الله التسليم على نوح وأدامه في الملائكة والثقلين يسلمون عليه من آخرهم ، علَّل مجازاة نوح عليه السلام بتلك الكرامة السَّنيَّة من تبقية ذكره وتسليم العالمين عليه إلى آخر الدَّهر بأنه كان محسناً ، ثم علَّل كونه محسناً بأنه كان عبداً مؤمناً ؛ ليريك جلالة محل الإيمان ، وأنه القصارى من صفات المدح والتعظيم ، ويرغبك في تحصيله والازدياد منه [(٢)] .

[٥] **جعل الله في ذريته النبوَّة والكتاب** ، قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ ﴾ [الحديد : ٢٦] .

قال ابن كثير – رحمه الله – : يخبر تعالى أنه منذ بعث نوحاً عليه السلام لم يرسل بعده رسولاً ولا نبيّاً إلا من ذريته ، وكذلك إبراهيم عليه السلام خليل الرحمن ، لم ينزل من السماء كتاباً ولا أرسل رسولاً ولا أوحى إلى بشرٍ من بعده إلا وهو من سلالته [(٣)] .



---

(١) « روح المعاني » (٩٨/٢٣) باختصار .
(٢) « الكشاف » (٨٤/٤) .
(٣) « تفسير القرآن العظيم » (٣١٥/٤) .

[فصل]

فوائد مستفادة من قصة نوح عليه السلام

قال العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدى :

يستفاد من هذه القصة أمور :

[١] **منها** : أن جميع الرسل من نوحٍ إلى محمدٍ ﷺ متفقون على الدَّعوة إلى التَّوحيد الخالصِ والنهى عنِ الشرك ، فنوح عليه السلام وغيره أول ما يقولون لقومهم ﴿ يا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِنْ إِلَهٍ غيره ﴾ [الأعراف : ٢٩] ويكررون هذا الأصل بطرق كثيرة .

[٢] **ومنها** : آداب الدَّعوة وتمامها : فإن نوحًا دعا قومه ليلاً ونهاراً وسرّاً وجهاراً ، بكلِّ وقت وبكلِّ حالة ، يظن فيها نجاح الدعوة ، وأنه رغَّبهم بالثواب العاجل بالسَّلامة من العقاب وبالتمتع بالأموال والبنين وإدرار الأرزاق إذا آمنوا ، وبالثواب الآجل ، وحذَّرهم من ضدِّ ذلك ، وصبر على هذا صبراً عظيمًا كغيره من الرُّسلِ ، وخاطبهم بالكلام الرقيق والشفقة وبكلِّ لفظٍ جاذب للقلوب محصل للمطلوب ، وأقام الآيات وبيَّن البراهين .

[٣] **ومنها** : أن من فضائل الأنبياء وأدلة رسالتهم وإخلاصهم التَّام لله تعالى فى عبوديتهم لله القاصرة ، وفى عبوديتهم المتعدية لنفع الخلق كالدَّعوة والتَّعليم وتوابع ذلك ، ولذلك يبدون ذلك ويعيدونه على أسماع قومهم كل منهم يقول : ﴿ وَيَا قَوْمِ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالاً إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ ﴾ [هود : ٤٩] ، ولهذا كان من أجل الفضائل لأتباع الرسل أن يكونوا مقتدين بالرسل فى هذه الفضيلة ، والله تعالى يجعل لهم من فضله من رفعة الدنيا والآخرة أعظم مما يتنفس فيه طلاب الدنيا (١) .

---

(١) « تفسير اللطيف المنان » (١٠٩ - ١١١) باختصار .

[٤] **قال القرطبي - رحمه الله -** : في هذه الآيات ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ﴾ [نوح : ١٠] والتي في سورة هود ﴿ وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ ﴾ [هود : ٥٢] ، دليل على أن الاستغفار يُستنزل به الرزق والأمطار .

قال الشعبي : خرج عمر يستسقي فلم يزيد على الاستغفار حتى رجع فأُمطروا ، فقالوا : ما رأيناك استسقيت ؟ فقال : لقد طلبت المطر بمجاديح السماء التي يُستنزل بها المطر ، ثم قرأ : ﴿ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ﴾ .

وقال ابن صبيح : شكا رجلٌ إلى الحسن الجدوبة؛ فقال له : استغفر الله، وشكا آخر إليه الفقر : فقال له : استغفر الله ، وقال له آخر : ادع الله أن يرزقني ولداً ؛ فقال له : استغفر الله ، وشكا له آخر جفاف بستانه ؛ فقال له : استغفر الله ، فقلنا له في ذلك ؛ فقال : ما قلت من عندي شيئًا ، إن الله تعالى يقول في سورة نوح : ﴿ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ﴾ الآية [(١)] .

[٥] **قال الحافظ في « فتح الباري »** : حكى الواقدي قال : كان « ودٌّ » على صورة رجل ، و « سواع » على صورة امرأة ، و « يغوث » على صورة أسد ، و « يعوق » على صورة فرس ، و « نسر » على صورة طائر ، وهذا شاذ والمشهور أنهم كانوا على صورة البشر وهو مقتضى ما تقدم من الآثار في سبب عبادتها [(٢)] .

[٦] **قال ابن القيم - رحمه الله -**: أول ما كاد به الشيطان عُبَّاد الأصنام من جهة العكوف على القبور وتصاوير أهلها ليتذكروهم بها ، كما قصَّ الله سبحانه قصصهم في كتابه فقال : ﴿ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ ﴾ الآية .

---

(١) « الجامع لأحكام القرآن » باختصار (٦٧٨١/٨) .
(٢) « فتح الباري » (٦٦٩/٨) .

ثم قال : وتلاعب الشيطان بالمشركين فى عبادة الأصنام له أسباب عديدة ، تلاعب بكلٍّ قومٍ على قدر عقولهم ، فطائفة دعاهم إلى عبادتها من جهة تعظيم الموتى الذين صوروا تلك الأصنام على صورهم كما تقدم فى قوم نوح عليه السلام ؛ ولهذا لعن النبى ﷺ المتخذين على القبور المساجد والسُّرج ، ونهى عن الصلاة إلى القبور وسأل ربَّه أن لا يجعل قبره وثناً يُعبد ، وأمر بتسوية القبور وطمس التماثيل ، فأبى المشركون إلا خلافه فى ذلك كلّه [(١)] .

[٦] **قال الأستاذ سيد قطب - رحمه الله -** : إن الوشيجة التى يتجمَّع عليها الناس فى هذا الدِّين وشيجة فريدة تتميز بها طبيعة هذا الدِّين وتتعلَّق بآفاقٍ وآمادٍ وأبعادٍ وأهدافٍ يختصُّ بها ذلك المنهج الربَّانى الكريم ، إن هذه الوشيجة ليست وشيجة الدَّم والنَّسب ، وليست وشيجة الأرض والوطن ، وليست وشيجة القوم والعشيرة ، وليست وشيجة اللون واللغة ، وليست وشيجة الجنس والعنصر ، وليست وشيجة الحرفة والطبقة ، إن هذه الوشائج جميعًا قد توجد ثم تنقطع العلاقة بين الفرد والفرد ، كما قال سبحانه وتعالى لعبده نوح عليه السلام وهو يقول: ﴿ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي ﴾ [هود : ٤٥] ﴿ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ﴾ ثم بيَّن له لماذا يكون ابنه ليس من أهله ﴿ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ ﴾ إن وشيجة الإيمان قد انقطعت بينكما يا نوح : ﴿ فَلا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ﴾ [هود : ٤٦] فأنت تحسب أنه من أهلك ، ولكن هذا الحسبان خاطئ ، أما المعلوم المستيقن فهو أنه ليس من أهلك ، ولو كان هو ابنك من صلبك [(٢)] .

[٧] **وقال رحمه الله** : ثم نقفُ الوقفة الأخيرة مع قصة نوح لنرى قيمة الحفنة المؤمنة فى ميزان الله سبحانه .

إن حفنة من المسلمين من أتباع نوح عليه السلام تذكر بعض الروايات أنهم اثنا

---

(١) باختصار من « إغاثة اللهفان » (٢١٨/٢) .

(٢) « فى ظلال القرآن » (١٨٨٦/٤) .

عشر هم كانوا حصيلة دعوة نوحٍ فى ألف سنة إلا خمسين عامًا ، كما يقرر المصدرُ الوحيد المستيقن الصحيح فى هذا الشأن .

إن هذه الحفنة – وهى ثمرة ذلك العمر الطويل والجهد الطويل – قد استحقت أن يغير الله لها المألوف من ظواهر هذا الكون ، وأن يجرى لها ذلك الطوفان الذى يغمر كل شيءٍ ، وكل حى فى المعمور وقتها من الأرض ، وأن يجعل هذه الحفنة وحدها هى وارثة الأرض بعد ذلك ، وبذرة العمران فيها ، والاستخلاف من جديد (١) .

[٨] **قال القاسمى** : قال بعضهم « فى تقرير عموم الطوفان مبرهناً عليه » : إن مياه الطوفان قد تركت آثاراً عجيبة فى طبقات الأرض الظاهرة ؛ فيشاهد فى أماكن رواسب بحرية ممتزجة بالأصداف ، حتى فى قمم الجبال ، ويرى فى السهول والمفاوز بقايا حيوانية ، ونباتية مختلطة بمواد بحرية بعضها ظاهر على سطحها وبعضها مدفون على مقربة منه ، واكتشف فى الكهوف عظام حيوانية متخالفة الطباع ، بعيدة الائتلاف ، معها بقايا آلات صناعية وآثار بشرية ، مما يثبت أن طوفانًا قادها إلى ذلك المكان ، وجمعها قسراً فأبادها فتغلغلت بين طبقات الطِّين ، فتحجَّرت وظلَّت شهادة على ما كان يأمر الخالق تعالى . انتهى (٢) .

[٩] **قال العلامة السعدى** : ينبغى الاستعانة بالله وأن يذكر اسمه عند الركوب والنزول وفى جميع التَّقلُّبات والحركات ، وحمد الله والإكثار من ذكره عند النعم لا سيما النجاة من الكربات والمشقَّات ، كما قال تعالى : ﴿ **وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا** ﴾ [هود : ٤١] ، وقال : ﴿ **فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى الْفُلْكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ**

---

(١) « فى ظلال القرآن » : (٤/ ١٨٩٢) باختصار .
(٢) « محاسن التأويل » : (١٣٥/٦) .

الظَّالِمِينَ (٢٨) ﴾ [المؤمنون : ٢٩ ، وأنه أيضًا ينبغى الدعاء بالبركة فى نزول المنازل العارضة كالمنازل في إقامات السفر وغيره ، والمنازل المستقرة كالمساكن والدُّور لقوله : ﴿ وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلاً مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ (٢٩) ﴾ [المؤمنون : ٢٩] ، وفى ذلك كله من استصحاب ذكر الله ، ومن القوة على الحركات والسكنات ، ومن قوة الثقة بالله ومن نزول بركة الله التى خير ما صحبت العبد فى أحواله كلّها ما لا غنى للعبد عنه طرفة عين .

[١٠] ومما يستفاد من قصة نوح عليه السلام أن النجاة من العقوبات العامة الدنيوية هى للمؤمنين وهم الرسل وأتباعهم ، وأما العقوبات الدنيوية العامة فإنها تختص بالمجرمين ويتبعهم توابعهم من ذرية وحيوان ، وإن لم يكن لها ذنوب ، لأن الوقائع التى أوقع الله بأصناف المكذبين شملت الأطفال والبهائم ، وأما ما يذكر فى بعض الإسرائيليات أن قوم نوح أو غيرهم لما أراد الله إهلاكهم أعقم الأرحام حتى لا يتبعهم فى العقوبة أطفالهم ، فهذا ليس له أصل وهو مناف للأمر المعلوم ، وذلك مصداق لقوله تعالى : ﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً ﴾ [الأنفال : ٢٥] (١) .

[١١] قال العلامة محمد رشيد رضا : إن الله تعالى يجزى الناس فى الدنيا والآخرة بإيمانهم وأعمالهم لا بأنسابهم ، ولا يحابى أحدًا منهم لأجل آبائه وأجداده الصالحين وإن كانوا من الأنبياء والمرسلين ، وإن من سأله من هؤلاء الآباء ما يخالف سُنَنه فى شرعه وحكمته فى نظام خلقه ؛ كان مذنبًا يستحق التأديب حتى يتوب وينيب (٢) .

[١٢] قال القرطبى فى هذه الآية : فقال : ﴿ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ ﴾ [هود : ٤٦] ، تسلية للخلق فى فساد أبنائهم وإن كانوا

---

(١) « تفسير اللطيف المنان » (١١١ - ١١٢) بتصرف .

(٢) « تفسير المنار » (١٢/ ٨٧) .

صالحين ، وفيها أيضًا دليل على أن الابن من الأهل لغةً وشرعًا ، ومن أهل البيت ، فمن وصى لأهله دَخَل في ذلك ابنه ومن تضمنه منزله وهو في عياله ، وقال تعالى في آية أخرى : ﴿ وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ (٧٥) وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ (٧٦) ﴾ [الصافات : ٧٥ ، ٧٦] ، فسمى جميع من ضمنه منزله من أهله [١] .



(١) « الجامع لأحكام القرآن » (٣٢٧٥/٤) بتصرف . راجع « تيسير المنان في قصص القرآن » للشيخ أحمد فريد - حفظه الله - .

ثانياً : قصة امرأة لوط عليه السلام :

مضى لوط عليه السلام إلى قريته ليبلغهم رسالة الله التي كلفه الله بإبلاغها لهم ، ورأت امرأته - وكانت تسمى واعلة - زوجها لوطًا وهو يكفهم عن الباطل الذي كانوا عليه : ﴿ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ (٨٠) إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ (٨١) ﴾ [الأعراف : ٨٠ - ٨١] .

كان قوم لوط في درك من سيء الأخلاق لم تعهد البشرية له قراراً ، استولى الشيطان على نفوسهم فسخرها طوع يديه .

سمع قوم لوط من نبيهم ما سمعوا ولكن لم ينصتوا لنداء الحق في دعوة لوط لهم ، وفكر القوم كيف يصرفون لوطاً عن دعوته ، وجلسوا يتدبرون الأمر ، سمعتهم امرأة عجوز منهم ، فابتسمت ابتسامة شيطان وقالت لهم :

سوف أدلكم على الثغرة التى تتصدون بها لدعوة لوط ، وسألوها عن تلك الثغرة ، فزادت ابتسامتها الشيطانية وقالت : لن أقول لكم حتى أحصل على قطعة من الفضة ، لم تضق صدورهم بجشع تلك العجوز ، وامتدت يد أحدهم إلى كيسه فدفع إليها بقطعة من الفضة ، فزادت ابتسامتها الشيطانية اتساعاً على وجهها وقالت وهي تدس القطعة في صدرها :

طريقكم إلى إبطال دعوة لوط لكم امرأة لوط !! ... اتسعت أعين القوم حين سمعوا ذلك واقتربوا أكثر من العجوز الماكرة وسألوها : كيف ؟ ...

قالت لهم : حين تشارككم امرأة لوط فيما تفعلون تبطل دعوته لكم .

ولكنَّ واحداً من القوم أجابها : ولكن أنت أيتها العجوز تعلمين أنه لا إرب لنا في النساء !!

أجابت العجوز : أنا أعلم ذلك .

فقال لها ثان : وما شأن امرأة لوط إذن بأمر كهذا ؟! .

أجابته : شأنها شأني ! .

فقال لها ثالث : إذن تريدين أن تدلنا زوجة لوط إلى ما نريد من الرجال كما تفعلين ؟! .

ولمعت عينا العجوز بفرح شيطاني وهي تقول له : أجل ... أجل ... .

كانت امرأة لوط تقوم ببعض شأنها في البيت حين دقت عليها تلك العجوز الباب فمضت وفتحته لها ، فإذا بها أمام امرأة جاوزت المائة من عمرها ، بادرتها بقولها : يا ابنتي هل لي في شربة ماء أروي بها الظمأ الذي أشعر به؟ ، فقالت لها واعلة امرأة لوط : تفضلي بالدخول حتى أحضر لك الماء .

جلست العجوز وعادت لها واعلة بإناء فيه ماء ، فشربت منه ثم قالت لها : أحسنت يا ابنتي ، وسألتها : ألك زوج أم تعيشين وحيدة في هذا البيت ؟ .

فقالت لها : بل لي زوج ، وهو لوط ، وابنتان .

فأدارت العجوز وجهها في أرجاء ذلك البيت الصغير وهزت رأسها في أسى وهي تقول : يا لك من بائسة يا ابنتي ! .

فقالت لها واعلة امرأة لوط : ولِمَ أنا بائسة وهذه دار تؤويني ، ولي زوج يطعمني أنا وبناتي ويسقيني ؟! .

اقتربت العجوز الماكرة منها أكثر وقالت : وهذه دار ؟ وهل ما تأكلين أو تشربين يعد طعاماً أو شراباً ؟ .

وسألتها : وماذا يكون إذن يا ...

فأسرعت العجوز الماكرة تقول لها : قولي لي يا خالة ، ألست في منزلة خالتك .

فقالت لها واعلة : أجل أنت في منزلة خالتي .

فقالت لها العجوز : إن هذا الفقر والشظف من العيش الذي تعيشين فيه هو شقاء لك يا ابنتي ، ألم تدخلي بيوت الأغنياء من قومك ، ألم تري ما يعيشون فيه من بذخ ومتعة ونعيم ، أنت جميلة يا ابنتي ، ولا يصح لك أن تدفني جمالك في هذا الفقر المدقع ، ولا ولد لك يعمل لإطعامك إن مات زوجك وتركك .

كانت واعلة امرأة لوط تستمع إلى العجوز وهي تحدثها شاخصة ببصرها تارة إلى ناحية سقف البيت ، وأخرى إلى العجوز التي كانت تملأ نبرات صوتها رنة الحزن والأسى ، وقد مدت يدها تربت بها على كتف امرأة لوط .

وحين انتهت العجوز من حديثها أخذت امرأة لوط تنظر إليها محاولة أن تجمع كلمات تنطق بها ، ولكن العجوز لم تمهلها ، بل أخذت تواصل حديثها قائلة لها : يا ابنتي ما هذا الأمر الذى يريده زوجك ؟ ما شأنه وشأن أهل سدوم وما جاورها من قرى ؟ إنهم ينشدون المتعة كما يريدون ، وهذه المتعة التى ينشدونها هي مصدر ثراء لمن يعاونهم ... انظري .. انظري يا ابنتى إلى كل هذه القطع الفضية والذهبية إنها لي من أمر يسير أقوم به ، أرشد قومي على الرجال حسني الوجوه الذين يأتون المدينة ، وأنتِ في بيت يأتى فيه شباب ورجال إلى زوجك ، وقد خدعتهم دعوته ، لن يكلفك الأمر شيئاً سوى أن ترسلي ابنة من بناتك إلى نادي القوم لتعلمهم بالأمر ، أظن أن هذا الأمر لن يكلفك شيئاً ، ولكن سوف يعود عليك بالمال الذي تستطيعين به أن تأكلى ما تريدين ، ودست العجوز فى يد امرأة لوط قطعتين من الفضة وأسرعت بالانصراف .

جلست امرأة لوط وهي تفكر فيما حدث أمامها ، وأخذت تدور في البيت وصوت العجوز يلاحقها ، ويدها قد أمسكت بقطعتي الفضة اللتين أعطتهما لها العجوز ، أتقبل أم ترفض ؟ كيف تكون زوجة لنبي من أنبياء الله يدعو

الخير ، وتعين قومها على الباطل ... كيف ... كيف ؟!! .

كانت كل هذه الأسئلة تلاحقها ، وإذا بصوت يهمس لها : وماذا في ذلك ، العجوز ناصحة لك لا تريد غير خيرك وسعادتك ، أنت لن تشاركي قومك فيما يفعلون ، ولن يكلفك الأمر غير إخبارهم بوصول ضيوف إلى زوجك لوط ... هيا ... هيا لا تترددي في قبول الأمر ... قولي سوف أقبل ... هيا ... هيا قوليها لينفتح لك طريق الثراء والنعيم ... هيا ... هيا ... وإذا بها بدون تردد تقول : قبلت ... قبلت ... هنيئاً لك إذاً ... هكذا همس لها إبليس هنيئاً لك ما سوف تنعمين به من بحبوحة في العيش .

عاد لوط عليه السلام إلى أهل القرى التي حول سدوم يدعوهم إلى ما أمره الله به ﴿ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ (٨٠) إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ (٨١) ﴾ .

[الأعراف : ٨٠ - ٨١] .

وكان عناد قوم لوط لدعوة الحق التي كان يدعوهم إليها لوط يملأ نفسه حزناً وأسى على هؤلاء القوم الذين لا يريدون للحق أن يداخل قلوبهم ، ولا يريدون لأنفسهم أن تتطهر من خصلة الرذيلة والفساد .

ومضت الأيام وامرأة لوط كلما رأت رجالاً جاءوا إلى لوط عليه السلام أسرعت بإعلام القوم بذلك الأمر ، وفي اليوم التالي تأتي إليها العجوز ومعها قطع الفضة وتقول : إن استمر بك الحال على هذا الولاء والرفض لما يدعو إليه زوجك فلك مثل ذلك ، ثم تعلو وجه المرأة العجوز ابتسامة كأنها ابتسامة الشيطان وتنصرف .

مضت الأيام بلوط وما زادت دعوته قومه إلا عناداً ومكابره وإصراراً على الانحراف الذي لم تعرف البشرية مثله ، ووقفوا يكررون في وقاحة حين توعدهم لوط بالعذاب إن لم يكفوا عن باطلهم ، فيقولون له :﴿ ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ ، وسأل لوط ربه أن ينصره عليهم ﴿ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي

عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ (٣٠)﴾ [العنكبوت : ٣٠] ، واستجاب الله دعاء لوط عليه السلام وبعث جبريل وميكائيل وإسرافيل عليهم السلام لإهلاكهم ، وجاءوا إلى قرية سدوم فى صورة رجال حسان : ﴿ سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴾ [هود : ٧٧] ، أي : شديدٌ بلاؤه .

لقد فكر لوط فيما سوف يحدث من قومه حين يعلمون بوصول أضياف رجال حسان الوجوه إليه كيف يدافع عنهم ويحميهم من منكر قومه ... لم يكن هناك من يعلم بقدوم هؤلاء الرجال حسان الوجوه غير لوط وزوجته وابنتيه ، ووجدتها الزوجة فرصة لمزيد من المال ، لابد أن ترسل إلى قومها حتى تخبرهم ، ولكنَّ الابنتين مشغولتان معها بإعداد طعام للضيفان كما أمر لوط ، ونظرت إلى واحدة منهن وأشارت لها وانتحت بها جانباً وهمست في أذنها بكلمات انطلقت بعدها إلى خارج البيت حيث القوم المفسدون ، واقتربت البنت من القوم فوجدت العجوز تحادثهم ، وأشارت إليها فأسرعت نحوها وأخبرتها بالأمر ، فأمرتها العجوز أن تعود إلى الدار، وسأل القوم المفسدون العجوز : ماذا حدث؟ ، ماذا جدَّ في الأمر ؟ .

فعلت وجهها ابتسامة ماكرة وقالت لهم : هذه المرة لابد من أربع قطع من الذهب ، وسأل القوم في لهفة : ماذا جدَّ في الأمر ؟ .

قالت لهم وقد اتسعت عيناها بمكر شيطاني : سوف تنالون بغيتكم من رجال حسان الوجوه .

قالت لهم : هاتوا المال أولاً وسوف أخبركم .

أجابهم بعضهم : يا لك من نهمة لا تشبع ، وقال لها البعض : هذا هو المال ، ولكن قولي لنا أولاً : أين الرجال ذوو الوجوه الحسنة ؟ .

قالت لهم وقد أمسكت يدها بالذهب : إنهم في بيت لوط .

لم يكد يسمع القوم بذلك حتى تسابقوا يهرعون إلى بيت لوط ، كل

منهم يريد أن ينال متعته ، ووصل القوم إلى باب دار لوط ، وإذا بالباب موصد ، وأخذوا يقرعون الباب في عنف صائحين : افتح يا لوط ، افتح الباب وإلا كسرناه .

واتجهت الزوجة إلى لوط وقد ترك ضيوفه في الحجرة ، واقترب من باب الدار الموصد الذى يفصل بينه وبين قومه ، وزوجته ترقبه وفي قلبها سعادة غامرة ، سوف تحصل من وراء ذلك على قطع من الفضة تقدمها لها العجوز من المال الذى حصلت عليه ، ولكنها حصلت على قطع ذهبية وهي لم تعلم ، وازداد صخب القوم حتى هموا بكسر الباب واقتحام الدار على ضيوف لوط .

ماذا يقول لهذه الوحوش التي تقودها الغريزة البهيمية في أحط صورها ؟ .

وقف والباب يحول بينهم وبينه ليقول لهم يا قوم : ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ (٧٨) ﴾ [هود : ٧٨] . [رجل رشيد : رجل عاقل] .

ولكن من يكون رشيداً من هذه الوحوش المسعورة التى تسيرها الغريزة البهيمية ، ثم عاد لوط يؤكد لهم عرضه ، وامرأته بالقرب منه ترقب الموقف ، عرض عليهم الزواج من بناته ولكنهم بكل صفاقة : ﴿ قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ (٧٩) ﴾ [هود : ٧٩] .

هنا انقطع الحوار بين لوط عليه السلام وبين قومه ، ماذا يفعل حين يقتحم هؤلاء عليه الدار بعد أن يكسروا الباب لينالوا وطرهم من الرجال أصحاب الوجوه الحسنة ، وقف لوط حائراً والزوجة ترقبه بنظرات خائنة للأمانة التي كان لابد من أن تحملها معه في إبلاغ رسالته .

هنا تحدث المفاجأة وأضياف لوط يقولون له : ﴿ قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَلا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلاَّ امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ (٨١) ﴾[هود: ٨١] ،

إذاً فأضياف لوط عليه السلام رُسل الله جاءوا لينزلوا العذاب بهؤلاء القوم المفسدين .

سمعت امرأة لوط هذا من القوم ، أحست بخوف غامض ملك عليها أقطار نفسها . إذاً فالباطل وأهله لا استمرار لهم ، وها هو ذا العذاب في طريقه إليها . قال رُسل الله للوط عليه السلام : افتح الباب ودعنا ، وفتح لوط الباب ، وذعرت زوجة لوط حين رأت قومها يندفعون بجنون نحو أضياف لوط .

قال ابن كثير : « وذكروا – أي المفسرون – أن جبريل عليه السلام خرج عليهم ، فضرب وجوههم خفقة بطرف جناحه فطمست أعينهم ، حتى قيل أنها غارت بالكلية ، ولم يبق لها محل ولا عين ولا أثر ، فرجعوا يتحسسون مع الحيطان ، ويتوعدون رسول الرحمن ، ويقولون : إذا كان الغد كان لنا وله شأن !! .

وأمرت الملائكة لوطاً بأن يسري بأهله بقطع من الليل . كان أهله يمضون معه إلا امرأته لأنها ليست من أهله الذين آمنوا برسالته ، لقد أعانت المفسدين ، ولابد أن تلقي جزاءهم ، ونزل بها ما نزل بقوم لوط من العذاب ، وكما سجل الحق تبارك وتعالى في كتابه الكريم : ﴿ **فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ (٨٢) مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ (٨٣)** ﴾ [هود : ٨٢ – ٨٣] .

وذكر ابن كثير عن أهل الكتاب أن جبريل عليه السلام اقتلعهن بطرف جناحيه من قرارهن ، بمن فيهم من المدن ، وما معهم من الحيوانات ، وما يتبع تلك المدن من الأراضي والأماكن والمعتملات ، فرفع الجميع حتى بلغ بهن عنان السماء ، حتى سمعت الملائكة أصوات ديكتهم ونباح كلابهم ، ثم قلبها عليهم ، فجعل عاليها سافلها .

فوائد مستفادة من قصة لوط عليه السلام

[١] **قال العلامة السعدى - رحمه الله -** : فى هذه القصة أكبر دليل على أن فاحشة اللواط من أشنع القبائح ، وأنها توجب العقاب الشديد ، وأن من ابتلى بهذه الفاحشة - والعياذ بالله - فمع ذهاب دينه قد انقلب عليه الحسن القبيح ، فاستحسن ما كان قبيحًا ونفر من الطيب ، وذلك دليل على انحراف الأخلاق (١) .

[٢] **قال العلامة محمد رشيد رضا**:جملة القول فى هذه الفاحشة أنها:

١ - جناية على الفطرة البشرية .

٢ - مفسدة للشبان بالإسراف فى الشهوة لأنها تنال بسهولة .

٣ - مذلة للرجال بما تحدثه فيهم من داء الأَبَنَة ، وقد أشرنا آنفًا إلى ما فيه من خزى ومهانةٍ .

٤ - مفسدة للنساء اللاتى تصرف أزواجهن عنهن ، حتى يقصروا فيما يجب عليهم من إحصانهن .

٥ - قلة النسل بفشوها فإن من لزوامها الرغبة عن الزواج ، والرغبة فى إتيان الأزواج فى غير مأتى يالحرث ، ولعن فاعل ذلك .

٦ - إنها ذريعة للاستمناء ولإتيان البهائم ، ومما يدل على ذلك قوله تعالى حكاية عن رسوله لوط عليه السلام : ﴿ **إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ** ﴾ [الأعراف : ٨١]، فقصد الشهوة لذاتها يفضى إلى وضعها فى غير موضعها ، وإنما موضعها الزوجة الشرعية (٢) .

[٣] **قال القرطبى - رحمه الله -** : واختلف العلماء فيما يجب على من فعل ذلك بعد إجماعهم على تحريمه ، فقال مالك : يُرْجم أُحصن أو لم

(١) خلاصة تيسير اللطيف المنان (١٢٥) .
(٢) تفسير المنار (٥٢١/٨ ، ٥٢٢) باختصار .

يحصن ، وكذلك يُرجم المفعول به إن كان محتلماً ، وروى عنه أيضًا يرجم إن كان محصناً ، ويحبس ويؤدب إن كان غير محصن ، وهو مذهب عطاء والنخعي وابن المسيب وغيرهم .

وقال أبو حنيفة : يُعزَّر المحصن وغيره ، وروى عن مالك .

وقال الشافعي : يُحَدُّ حد الزنا قياساً عليه .

واحتج مالك بقوله : ﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴾ [الحجر : ٧٤] ، فكان ذلك عقوبة لهم وجزاء على فعلهم .

فإن قيل : لا حجة فيه لوجهين :

أحدهما : أن قوم لوط إنما عوقبوا على الكفر والتكذيب كسائر الأمم .

الثاني : أن صغيرهم وكبيرهم دخل فيها ، فدل على خروجها من باب الحدود .

قيل : أما الأول فغلط فإن الله سبحانه أخبر عنهم أنهم كانوا على معاصي فأخذهم بها منها هذه ، وأما الثاني : فكان منهم فاعل وكان منهم راضٍ ، فعوقب الجميع لسكوت الجماهير عليه ، وهي حكمة الله وسُنته في عباده ، وبقي أمر العقوبة على الفاعلين مستمراً والله أعلم ، وقد روى أبو داود وابن ماجة والترمذي والنسائي والدارقطني أن رسول الله ﷺ قال : « **من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به** »(١) ، لفظ أبي داود وابن ماجة وعند الترمذي « **أحصنا أو لم يحصنا** »(٢) .

[٤] عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **نحن أحقُّ بالشك من إبراهيم إذ قال : ﴿ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾ ويرحم الله لوطًا لقد كان يأوى إلى ركن شديد ، ولو**

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٣/٢٦٧٩ ، ٢٦٨٠) باختصار ، والحديث رواه الترمذي (٦/٢٤٠) الحدود ، وأبو داود (٤٤٣٨) الحدود ، وصححه الألباني – رحمه الله – .

(٢) الترمذي (٦/٤١) الحدود .

لبثت فى السجن ما لبث يوسف لأجبت الداعى » (١) .

وفى رواية عن أبى هريرة رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال : « **يغفر الله للوط ، إن كان ليأوى إلى ركن شديد** » (٢) .

قال الحافظ : قوله : « **يغفر الله للوط إن كان ليأوى إلى ركن شديد** » أى إلى الله سبحانه وتعالى ، ويشير ﷺ إلى قوله تعالى : ﴿ **قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ (٨٠)** ﴾ [هود : ٨٠] ويقال إن قوم لوط لم يكن منهم أحد يجتمع معه فى نسبه لأنهم من سدوم وهى من الشام ، وكان أصل إبراهيم ولوط من العراق ، فلما هاجر إبراهيم إلى الشام هاجر عنه لوط ، فبعث الله لوطاً إلى أهل سدوم ، فقال : لو أن لى منعة وأقارب وعشيرة لكنت استنصر بهم عليكم ليدافعوا عن ضيفانى ، ولهذا جاء فى بعض طرق هذا الحديث كما أخرجه أحمد من طريق محمد بن عمرو عن أبى سلمة عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال : « **قال لوط لو أن لى بكم قوة أو آوى إلى ركن شديد ، قال فإنه كان يأوى إلى ركن شديد ، ولكنه عنى عشيرته فما بعث الله نبياً إلا فى ذروة من قومه** » ، وزاد ابن مردوية من هذا الوجه . ألم تر إلى قوم شعيب : ﴿ **وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ** ﴾ وقيل : معنى قوله : « لقد كان يأوى إلى ركن شديد » أى إلى عشيرته ، لكنه لم يأو إليهم وأوى إلى الله . انتهى ، والأول أظهر لما بيناه ، وقال النووى : يجوز أنه لما اندهش بحال الأضياف قال ذلك ، أو أنه التجأ إلى الله فى باطنه وأظهر هذا القول للأضياف اعتذاراً ، وسمى العشيرة ركنًا لأن الركن يستند إليه ويمتنع به فشبههم بالركن من الجبل لشدتهم ومنعتهم (٣) .

---

(١) رواه البخارى (٦/٤١١) أحاديث الأنبياء ، ومسلم (١٥/١٢٣) الفضائل .

(٢) رواه البخارى (٦/٤١٥) أحاديث الأنبياء .

(٣) فتح البارى (٦/٤١٥ ، ٤١٦) ، راجع « تيسير المنان فى قصص القرآن » للشيخ / أحمد فريد .

ثالثاً : قصة زوجة أبي لهب :

أبو لهب هو أحد أعمام رسول الله ﷺ واسمه عبد العزى بن عبد المطلب ، كنيته أبو عتبة ، وإنما سمي أبا لهب لإشراق وجهه ، وكان كثير الأذية لرسول الله ﷺ والبغض له والازدراء به والتنقص له ولدينه ، وكانت زوجته من سادات قريش وهي أم جميل - لعنها الله - واسمها أروى بنت حرب بن أمية وهي أخت أبي سفيان ، وكانت عوناً لزوجها على كفره وجحوده وعناده ، فلهذا تكون يوم القيامة عوناً عليه في عذابه في نار جهنم .

وكانت تضع الشوك في طريق رسول الله ﷺ . قال سعيد بن المسيب : كانت لها قلادة فاخرة ، فقالت : لأنفقنها في عداوة محمد ، يعني فأعقبها الله منها حبلاً في جيدها من مسد النار .

وقال ابن كثير - رحمه الله - قال العلماء : « وفي هذه السورة معجزة ظاهرة ودليل واضح على النبوة ، فإنه منذ نزول قوله تعالى : ﴿ **سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ۝ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۝** ﴾ [المسد : ٣ - ٥] فأخبر عنهما[(١)] بالشقاء وعدم الإيمان لم يقيض لهما أن يؤمنا ولا واحد منهما لا باطناً ولا ظاهراً ، لا مسراً ولا معلناً ، فكان هذا من أقوى الأدلة الباهرة الباطنة على النبوة الظاهرة » .

وقال السعدى - رحمه الله - : « في هذه السورة آية باهرة من آيات الله ، فإن الله أنزل هذه السورة ، وأبو لهب وامرأته لم يهلكا ، وأخبر أنهما سيعذبان فى النار ، ولابد من لازم ذلك أنهما لا يسلمان ، فوقع كما أخبر عالم الغيب والشهادة »[(٢)] .

---

(١) تفسير ابن كثير (٥٦٤/٤ - ٥٦٥) .
(٢) تيسير الكريم الرحمن (ص ٨٦٦) .

[فصل]

الأحاديث السابقة لا تتعارض مع وجود نساء فضليات عاقلات قانتات، وهذه بعض النماذج العالية، لهمم شامخة لبعض نساء المسلمين [(١)] .

أولاً : نساء مجاهدات صابرات



• سمية بنت خيَّاط أم عمَّار بن ياسر :

كان بنو مخزوم إذا اشتدت الظهيرة ، والتهبت الرمضاء ، خرجوا بها هي وابنها وزوجها إلى الصحراء ، وألبسوهم دروع الحديد وأهالوا عليهم الدروع المتقدة وأخذوا يرضخونهم بالحجارة .

• جارية لبني المؤمل :

كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه - قبل أن يسلم - يتولى تعذيبها ، فلا يزال يضربها بالسياط حتى إذا كلَّ قال لها : « إني أعتذر إليك أني لم أتركك إلا ملالة » ، فتقول له : « كذلك فعل الله بك » .

• الخنساء :

المثل الرائع في الصبر والاحتساب والمجاهدة أوصت أولادها الأربعة عندما خرجوا إلى القادسية فكان مما أوصتهم به قولها : « يا بني إنكم أسلمتم طائعين ، وهاجرتهم مختارين والله الذي لا إله إلا هو ، إنكم لبنو رجل واحد ، كما أنكم بنو امرأة واحدة ، ما هجّنْتُ حَسَبَكم وما غيرت نسبكم ، واعلموا أن الدار الآخرة خير من الدار الفانية ، اصبروا وصابرو ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون ، فإذا رأيتم الحرب قد شمرت عن ساقها ، وجللت ناراً على أرواقها ،

---

(١) راجع « سيرة ابن هشام » و « المرأة العربية » لعبد الله عفيفى(جـ ٢) وأحكام النساء ، وصفة الصفوة وكلاهما لابن الجوزى ، وعودة الحجاب لمحمد إسماعيل(جـ ٢) .

فيمموا وطيسها « الضرب فيها » وجالدوا رسيسها « أصلها » ، تظفروا بالغنم والكرامة في دار الخلد والمقامة .

فلما كشرت الحرب عن نابها ، تدافعوا إليها وتواقعوا عليها ، وكانوا عند ظن أمهم بهم ، حتى قتلوا واحداً في إثْر واحد ، ولما وافتها النعاة بخبرهم ، لم تزد على أن قالت : « الحمد لله الذي شرفني بقتلهم وأرجو من الله أن يجمعني بهم في مستقر رحمته » .

• زوجة عبد الله بن الفرج :

مات زوجها فلم تُعْلم إخوانه بموته - وهم جلوس بالباب ينتظرون الدخول عليه في عِلَّته - فغسّلته ، وكفنته في كساء كان له ، فأخذت فرد باب من أبواب بيته وجعلته فوقه وشدته بشريط ، ثم قالت لإخوانه : « قد مات ، وقد فرغت من جهازه » فدخلوا فاحتملوه إلى قبره وأغلقت الباب خلفهم .

• أم عَمارة نسيبة بنت كعب بن عمرو بن عوف :

شهدت ليلة العقبة ، وشهدت أُحداً ، والحديبية ، ويوم حنين ، ويوم اليمامة ، وجاهدت وفعلت الأفاعيل ، وقُطعت يدها في الجهاد ، وكانت قد خرجت في جيش المسلمين تسقي الظمأ ، وتأسوا الجرحى، وقاتلت ، وأبلت بلاءً حسناً ، وكانت تذود عن النبي ﷺ في المعركة ، فكانت لا ترى الخطر يدنو منه ﷺ حتى تكون سداده وملء لهوته حتى قال ﷺ : « **ما التفتُ يميناً ولا شمالاً إلا وأنا أراها تقاتل دوني** »[(١)] .

• وهذه رسالة من ابنة لأبيها وهو خلف الأسوار تقول له :

أبي الحبيب لقد عهدناك أباً رحيماً صبوراً مجاهداً كبيراً لا تخشى في

---

(١) للمؤلف كتاب بعنوان « مواقف نسائية خالدة » فليراجع لمزيد من الفائدة .

الحق لومة لائم ، ولقد قُدر لك ولنا هذا الابتلاء والامتحان حتى يعلم الله المجاهدين منا والصابرين ، وتلك الأيام دُوَل بين الناس ليمحص الله الذين آمنوا.

فاثبت يا أبتاه فإنك على الحق ، وإنا لصُبر فى الحرب صُدُق عند اللقاء ، ولعل الله يريك منّا ما تقرّ به عينك ، فسرْ على بركة الله ، إن لنا جميعًا أنفُساً تواقة ما تاقت إلى شيء إلا وبذلت فى سبيله تاقت للوصول للأوائل على الجمهورية فوصلت بحمد الله ، وتاقت للغنى فأغنانا الله بفضله عمن سواه ، وتاقت لختم كتاب الله حفظًا فختمته ، وتاقت لدراسة العلوم الشرعية فدرستها وتاقت للصحبة المؤمنة فوجدتها ، وتاقت لدخول مصعب كلية الطب فدخل بفضل الله ، وإن أنفسنا لتتوق لجنة عرضها السموات والأرض ، تتوق للفردوس أعلى الجنة ، تتوق لظل عرش الرحمن ، فأرجو أن ننالها بصبرنا على البلاء ابتغاء مرضاة الله .

ولا يشغَلَنَّ أمرُنا بالك فقد بقى معنا الرزاق ، فإنما كنت أكالاً مثلنا ، وإن الذى يرزق الطيور فى أعشاشها والوحوش فى أوكارها والنمل فى مساكنه لقادر أن يرزقنا من فضله ورحمته ﴿ وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً ﴿٩﴾ ﴾ [النساء : ٩] .

وإنما أنت وسام على صدورنا جميعًا نفخر بك دائماً ونفخر بأننا أبناؤك ، فإنما أنت أسير فى دين الله وفى سبيل الله بإذن ا لله ، وإنى إذاً تذكرتُ يوماً أن هذا قد يكون أشد رمضان مضى علينا وأشد عيد سيمضى علينا ، أتذكر بأنه يوم القيامة سيكون أسعد رمضان مضى علينا وأسعد عيد مضى علينا ، ويا لَمَنْ سيشهد له رمضان يوم القيامة !! ، ويا لمن سيشهد له العيد يوم القيامة .. إن هذا أعظم وأفضل سلوى لنا جميعاً .

إن كل لحظة تمضى إنما هى مرجحة ومثقلة لميزاننا ولحسناتنا يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ، والحسنات تضاعف كثيراً فى

رمضان ، أليس هذا فضل وكرم من الله ؟ . أذكر أن أحد الصالحين كان يقول : « إنى أحمد الله على البلاء لأنما هو زيادة لحسناتى » ... فالحمد لله حمداً طيباً كثيراً مباركاً فيه ملء السموات والأرض ، وملء ما بينهما كما يحب ربنا ويرضى ... اللهم إنا نُشْهِدُك أنَّا راضون عنك فارض عنا والطف بنا فيما جرت به المقادير

وإنَّا موقنون بأن البلاء لا يزال ينزل بالمؤمن حتى يمشى على الأرض وما عليه خطيئة ونثق بأن الظلم ظلمات يوم القيامة ، ويكفينا أنَّا وجدنا من نأخذ من حسناته ، وإن لم تكن له حسنات فإنه سيحمل عنا من سيئاتنا ، فكفانا أنَّا وجدنا من يحمل عنا سيئاتنا ، وهؤلاء حقاً لهم المفلسون يوم لا ينفع العمل ولا العطاء يوم القيامة .

يريدون أن يهدموا العقيدة فينا لكنها بإذن الله جبل لا تهزه المصائب والزلازل، وإنما هى حرب إرادات وعزائم ، فمن كان أقوى إرادة وأصدق عزيمة فله الغلبة والعاقبة ، ﴿ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ﴾ [إبراهيم ٤٦] ، ولكن ﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ [الأنفال : ٣٠] .

ولا يجولن بظنك يا أبتاه أن هذا سيؤثر على المذاكرة ، بل هو دافع أكبر للمذاكرة كى نثبت لهم أنه لا فائدة مما يفعلون وبأننا ماضون أيضاً على الدرب بإذن الله ، وبأن المصائب لا تزيد المؤمن إلا صبراً وجلداً .

ولسان حالنا فى كل حين ﴿ وَمَا تَنقِمُ مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ (١٢٦) ﴾[الأعراف : ١٢٦] .. ﴿ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ (٤) بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ ﴾ [الروم : ٤ ، ٥] وحسب الظالم أنه سيحشر مع أمثاله من فرعون وهامان وقارون ، وحسب الظالم أنه لن يشم رائحة الجنة « أيما والد مات وهو غاش لرعيته حرم الله عليه رائحة الجنة » ... وحسب من خان أمته أن ذلك عليه يوم القيامة خزى وندامة ...

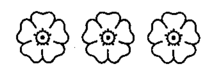
ولئن كانت دولة الباطل ساعة ، فدولة الحق إلى قيام الساعة .

وإننا لم نيأس يوماً من رحمة الله ولم نقنط منها أبداً ، وسيظل هذا الأمل هو رفيقنا في الحياة ما حيينا .

وعجبت لمن مكر به ولم يقل ﴿ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ (٤٤) ﴾ [غافر : ٤٤] ، فإني سمعت الله يقول في عقبها :﴿ فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ (٤٥) ﴾ [غافر : ٤٥] ، كما وصى الإمام جعفر الصادق – رحمه الله – وعجبت لمن اغتمَّ ولم يقل : ﴿ لاَّ إِلَهَ إِلاَّ أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ (٨٧) ﴾ [الأنبياء : ٨٧] ، فإني سمعت الله يقول في عقبها :﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ (٨٨) ﴾ [الأنبياء : ٨٨] ، وعجبت لمن طلب الدنيا ولم يقل : ﴿ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (١٧٣) ﴾ [آل عمران: ١٧٣] ، فإني سمعت الله يقول في عقبها :﴿ فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ (١٧٤) ﴾ [آل عمران : ١٧٤] .

وجزاك الله عنا كل خير، ولا تنسنا من صالح دعائك .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ...



ثانياً : نساء عالمات

• عائشة رضي الله عنها :

لقد كانت رضي الله عنها إحدى المجتهدات ، ومن أنفذ الناس رأياً في أصول الدين ودقائق الكتاب المبين ، وكم كان لها رضي الله عنها من استدراكات على الصحابة وملاحظات ، فإذا علموا بذلك منها رجعوا إلى قولها .

قال الزهري : لو جمع علم الناس كلهم وأمهات المؤمنين ، لكانت عائشة رضي الله عنها أوسعهم عِلماً .

وذكر أبو عمر ابن عبد البر رحمه الله : أنها كانت وحيدة عصرها في ثلاثة علوم : الفقه ، وعلم الطب ، وعلم الشعر .

• حفصة بنت سيرين :

قال هشام بن حسان : قرأت حفصة بن سيرين القرآن وهي ابنة اثنتي عشرة سنة ، وماتت وهي ابنة تسعين .

وعنه أن ابن سيرين كان إذا أُشكل عليه شيء من القرآن قال : « اذهبوا فسلوا حفصة كيف تقرأ » .

• عمْرة بنت عبد الرحمن بن سعد بن زُرارة :

كانت عالمة فقيهة ، حجة ، كثيرة العلم ، حدثت عن عائشة وأم سلمة ، ورافع بن خُديج .

روى أيوب بن سويد عن يونس عن ابن شهاب عن القاسم بن محمد أنه قال لي : « يا غلام أراك تحرص على طلب العلم ، أفلا أدلك على وعائه ؟ » قلت : « بلى » ، قال : « عليك بعَمْرة فإنها كانت في حَجْرِ عائشة رضي الله عنهن ، قال : فأتيتُها ، فوجدتها بحراً لا يُنْزَف » .

● زينب بنت عبد الله بن عبد الحليم بن تيمية الحنبلية :

قال الحافظ بن حجر : « سمعت من الحجار وغيره ، وحدَّثت ، وأجازت لي » ومن تلاميذها الإمام الحافظ محمد بن ناصر الدين الدمشقى الشافعي .

● زبيدة زوجة هارون الرشيد وابنة عمه :

كانت عالمة فقيهة ، وذكر ابن خِلِّكان : أنه كان لها مئة جارية كلهن يحفظن القرآن العظيم .

● وقاية :

امرأة عالمة فاضلة ، كانت بإحدى مدن ليبيا ، وكان يلجأ إليها أفاضل العلماء ، ويقولون : « تعالوا بنا نستشير وقاية ، فعصابتها خير من عمائمنا » .



ثالثاً : نساء عابدات

• عائشة رضي الله عنها :

قال عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما : « ما رأيت امرأتين قط أجود من عائشة وأسماء ، وجودهما مختلف :

أما عائشة فكانت تجمع الشيء حتى إذا اجتمع عندها قسمت ، وأما أسماء فكانت لا تمسك شيئاً لغد » .

قال القاسم : « كانت عائشة تصوم الدهر » .

• زينب بنت جحش رضي الله عنها :

كانت رضي الله عنها صالحة صوامة قوامة بارَّة ، ويقال لها : أم المساكين . وقالت فيها أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بعد موتها : « لقد ذهبت حميدة ، متعبدة ، مفزع اليتامى والأرامل » .

• عجردة العمية :

عن آمنة بنت يَعْلى بن سُهَيل قالت : كانت عجردة العمية تغشانا ، فتظل عندنا اليوم واليومين ، قالت : فكانت إذا جاء الليل لبست ثيابها ، وتقنَّعت ، ثم قامت إلى المحراب ، فلا تزال تصلي إلى السحَر ، ثم تجلس فتدعو حتى يطلع الفجر فقلت لها أو قال لها بعض أهل الدور : لو نمت من الليل شيئاً ؟ » ، فبكت وقالت : « ذكر الموت لا يدعُني أنام » .

• جارية الحسن بن صالح :

كان الحسن بن صالح يقوم الليل هو وجاريته ، فباعها لقوم ، فلما صلَّت العشاء افتتحت الصلاة ، فما زالت تصلي إلى الفجر ، وكانت تقول لأهل الدار كل ساعة تمضي من الليل : « يا أهل الدار قوموا ، يا أهل الدار صلُّوا » ،

فقالوا لها : نحن لا نقوم إلى الفجر » ، فجاءت إلى الحسن بن صالح ، وقالت : « بعتني لقوم ينامون الليل كله ، وأخاف أن أكسل من شهود نومهم » ، فردها الحسن إليه رحمة بها ووفاءً بحقها .

● آمنة بنت أبي الورع :

كانت من العابدات الخائفات ، وكانت إذا ذكرت النار قالت : « أُدخلوا النار وأكلوا النار وشربوا من النار وعاشوا » ، ثم تبكي وكأنها حبة على مِقْلى ، وكانت إذا ذكرت النار بكت وأبكت .

❀ ❀ ❀

رابعاً : نساء داعيات

• **أم سُليم بنت مِلحان بن خالد بن زيد بن حرام رضي الله عنها :**

لما سمعت بالإسلام وتعرفت إلى هذه الدعوة من توحيد الله عز وجل ، وتأدب بأخلاق كريمة ، وتحرر من عبادة الأوثان والأجداد والأوهام ، فآمنت بالله ، وبايعت على مرضاته .

ولم يكن إيمانها كلمة تلفظها أم سليم ، ولم يكن الإسلام هكذا عند أحد من المسلمين ، بل كانت تفهم ما يعنيه إسلامها من عقيدة تفهمها وتدركها وتعمل بها وسلوك تقومه على أساسه ، ومسئولية وأمانة تؤديها نحو الآخرين .

جاءت إلى زوجها - وهو أقرب الناس لها - بكل حب وود وتعقل ، فعرضت عليه الإسلام ولكنه أبى وسألها أصبوت ؟ ، فأجابت : « ما صبوت ولكني آمنت بهذا الرجل » ، وحاولت أن تقنعه بشرع الله وتخلصه من ضلال الجاهلية وسخفها فأبى ذلك ، وكان لابد لها من الصبر .

جاءت أم سليم إلى ابنها أنس وبدأت تلقنه الشهادة وتقول له : قل : أشهد أن لا إله إلا الله ، قل : أشهد أن محمداً رسول الله ، وفعل الطفل ذلك . وسمع هذا زوجها فقال لها : لا تفسدي عليّ ابني ، فأجابته : إني لا أفسده . ورسمت بذلك واحدة من مسئوليات الأم في البيت . واستمرت حياتها مع زوجها إلى أن قُتل في إحدى رحلاته إلى الشام .

وبعد ذلك جاء أبو طلحة ليخطب أم سليم فأبت عليه في أول الأمر حتى كبر ابنها وجاء أبو طلحة ثانية ، وكان لا يزال على شركه ، ففوجئ بأن أم سليم ترفض الزواج منه ، وأراد أن يعرف السبب فقالت له :

يا أبا طلحة أرأيت حجراً تعبده لا يضرك ولا ينفعك ، أو خشبة تأتي بها

النجار فينخرها لك، هل يضرك ؟ ، هل ينفعك ؟، فوقع في قلبه الذي قالت ، وفكر في الأمر طويلاً ، وتابعت تقول : إنه لا ينبغي لي أن أتزوج مشركاً ، أما تعلم يا أبا طلحة أن آلهتكم التي تعبدون ينحتها عبد آل فلان النجار ، وأنكم لو أشعلتم فيها ناراً لاحترقت .

ومضى وهو يفكر وعاد ثانية وهي تقول له مثل الذي قالت ، وعاد ثالثة ، فقالت له : ألست تعلم – يا أبا طلحة – أن إلهك الذي تعبد إنما هو شجرة تنبت من الأرض ، وإنما نجرها حبشي بني فلان ؟ قال : بلى .

قالت : أما تستحي أن تسجد لخشبة تنبت من الأرض نجرها حبشي بني فلان ؟ ، فهل لك أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وأزوجك نفسي ، لا أريد منك صداقاً غيره !! .

قال لها : دعيني حتى أنظر .

وذهب وفكر فيما قالت ، حتى استيقن الإيمان ، وتفتح قلبه للهدى فجاء وقال : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله .

قالت : يا أنس قم فزوج أبا طلحة .

وهكذا تم الزواج وكان مهرها أعظم مهر أخذته مسلمة: إسلام أبي طلحة، هذه هي الصورة الحقيقية للإيمان ، وهذا هو الوعي الصحيح للمسلمة [١] .

إن هذا نموذج للمرأة المسلمة الداعية، التى ثابرت والتزمت بطريق الدعوة ، وانفعلت بعقيدتها ولم ترض لها بديلاً حتى وصلت إلى غايتها والتي قال فيها النبى ﷺ : « **لئن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من الدنيا وما فيها** » ، **وفي رواية** : « **خير لك من حُمر النَّعَم** » [٢] .

---

(١) « المرأة المسلمة الداعية » لمحمد حسن بريغش (ص ١١٦) بتصرف واختصار ، وانظر « مواقف نسائية خالدة » للمؤلف .
(٢) رواه البخارى (فتح البارى ٦/ ١١١) .

الباب الرابع
صفة النار وأحوال أهلها فيها

ولأن النساء أكثر أهل النار ، فلابد أن نعرض طرفاً من صفة أهل النار وأحوال أهلها فيها - أعاذنا الله وإياكم منها - لعلها تكون زاجرة للنساء عن غيهن وبعدهن عن صراط الله المستقيم ، وتكون للنساء الصالحات تذكرة وإنذاراً حتى لا يحدن عن صراط الله المستقيم ولا يغفلن عن الله والدار الآخرة .

• فأمها عن عمقها وشدة حرها :

فقد ثبت في صحيح مسلم عن عتبة بن غزوان أنه قال في خطبة : « إن الحجر ليلقى في شفير جهنم فيهوي فيها سبعين عاماً إلى قرارها » .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « ناركم هـذه التي توقد بنو آدم ، جزءٌ من سبعين جزءاً من نار جهنم » . قيل : يارسول الله ، إن كانت لكافية ؟ ، قال ﷺ : « فإنها فُضلت عليها بتسعة وستين جزءاً كلهن مثل حرِّها » [1] .

• وأما عن سعتها وطبقاتها ودركاتها :

قال ابن عباس رضي الله عنهما : إن ما بين شحمة أذن أحدهم وأنفه مسيرة سبعين خريفاً تجري فيه أودية القيح والصديد .

وعن يزيد بن أبي مالك قال : لجهنم سبعة نيران تأتلق ليس منها نار إلا وهي تنظر إلى التي تحتها مخافة أن تأكلها ، وأبواب النار مغلقة ﴿ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ۝٨ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ۝٩ ﴾ [الهمزة : ٨ ، ٩] .

• وأما عن دخانها وشررها ولهيبها :

قال تعالى : ﴿ وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ ۝٤١ فِي سَمُومٍ

---

(١) صححه الألباني - رحمه الله - في « صحيح الجامع » برقم (٦٧٤٢) .

وَحَمِيمٍ (٤٢) وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ (٤٣) لا بَارِدٍ وَلا كَرِيمٍ (٤٤) ﴾ .
[الواقعة : ٤١ ، ٤٤] .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : ظل من دخان .

وعن مجاهد قال : ظل من دخان جهنم وهو السموم .

وقال أبو مالك : اليحموم : ظل من دخان جهنم .

قال الحسن وقتادة في قوله : ﴿ لا بَارِدٍ وَلا كَرِيمٍ (٤٤) ﴾ لا بارد المدخل ولا كريم المنظر ، والسموم : هو الريح الحارة ، قاله قتادة وغيره .

● **وأما عن وديانها :**

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « **يُحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذَّر - صغار النمل - في صور الرجال ، يغشاهم الذّل من كل مكان ، يساقون إلى سجن في جهنم يسمي بُولُس ، تعلوهم نار الأنيار ، يُسقون من عُصارة أهل النار طينة الخبال** » (١) .

● **وأما عن سلاسلها وأغلالها وأنكالها :**

فقال تعالى : ﴿ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلاسِلَ وَأَغْلالاً وَسَعِيرًا (٤) ﴾
[الإنسان : ٤] .

وقال أيضاً : ﴿ إِذِ الأَغْلالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلاسِلُ يُسْحَبُونَ (٧١) فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ (٧٢) ﴾ [غافر : ٧١ ، ٧٢] .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالاً وَجَحِيمًا (١٢) وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا (١٣) ﴾ [المزمل : ١٢ ، ١٣] .

فهذه ثلاثة أنواع : الأغلال وهي في الأعناق ، والأنكال وهي

---

(١) حسنه الألباني - رحمه الله - في صحيح الجامع برقم (٨٠٤٠) .

القيود ، والسلاسل .

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال : ذكروهم النار لعلهم يفَرقون ، فإن حرّها شديد ، وقعرها بعيد ، وشرابها الصديد ، ومقامعها الحديد .

• وأما عن حجارتها :

فقال تعالى : ﴿ فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة : ١٤] .

قال الحسن في موعظته : أذكرك الله ما رحمت نفسك ، فإنك قد حُذرت ناراً لا تطفأ ، يهوي فيها من صار إليها ، ويتردد في أطباقها قرين شيطان ، ولزيق حجر يتلهب في وجهه شعلها ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ﴾ [فاطر : ٣٦] .

وأكثر المفسرين على أن المراد بالحجارة حجارة الكبريت توقد بها النار ويقال : إن فيها خمسة أنواع من العذاب ليس فى غيرها من الحجارة ، سرعة الإيقاد ، ونتن الرائحة ، وكثرة الدخان ، وشدة الإلصاق بالأبدان ، وقوة حرها إذا أحميت .

• وأما عن طعام أهل النار :

قال تعالى : ﴿ لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ (٦) لا يُسْمِنُ وَلا يُغْنِي مِن جُوعٍ (٧) ﴾ [الغاشية : ٦ ، ٧] .

عن ابن عباس رضي الله عنهما : الضريع شيء يكون في النار ، يقال يشبه الشوك ، أمرُّ من الصبر ، وأنتن من الجيفة ، وأشد حراً من النار .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ (٤٣) طَعَامُ الأَثِيمِ (٤٤) كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ (٤٥) كَغَلْيِ الْحَمِيمِ (٤٦) ﴾ [الدخان : ٤٣ - ٤٦] .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعًا « لو أن قطرة من الزقوم قطرت في دار

الدنيا ، لأفسدت على أهل الدنيا معايشهم، فكيف بمن تكون طعامه » [(١)] .

وعن سعيد بن جبير قال : إذا جاع أهل النار استغاثوا من الجوع ، فأغيثوا بشجرة الزقوم ، فأكلوا منها فانسلخت وجوههم حتى لو أن ماراً مر عليهم يعرفهم لعرف جلود وجوههم .

وقال تعالى : ﴿ فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ (٣٥) وَلا طَعَامٌ إِلاَّ مِنْ غِسْلِينٍ (٣٦) ﴾ [الحاقة : ٣٥ - ٣٧] .

والغسلين هو ما تجمع من عصارة أهل النار ، من قيح وصديد وعرق ، وما يخرج من فروج الزناة ، وما يسيل من لعاب شاربي الخمور ، والمغتابين ، والكذابين ، وقائلي الباطل ، وشاهدي الزور .

- **وأما عن شرابهم :**

[١] **الحميم** : وهو ماء جار يجري من عين آنية أي درجة حرارة الماء قد انتهت إلى ما لا مزيد عليه أبداً ، ومن خواصه أنه يصهر به ما في بطونهم ويقطع أمعاءهم ، قال تعالى : ﴿ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴾ [محمد : ١٥] .

[٢] **ماء الصديد** : وهو ماء كدر ، يحوي كميات من الصديد ، يُغص به شاربه حتى لا يكاد يسيغه، يعاني شاربه منه آلاماً لا يعلم مداها إلا الله تعالى، قال تعالى: ﴿ وَيُسْقَىٰ مِن مَّاءٍ صَدِيدٍ (١٦) يَتَجَرَّعُهُ وَلا يَكَادُ يُسِيغُهُ ﴾ .

[إبراهيم: ١٦ - ١٧] .

[٣] **ماء المهل** : وهو ماء ثخين حار ، حتى لكأنه النحاس المُذاب ، بحيث إذا أدناه صاحبه من فمه ليشربه ، شوت حرارته جلدة وجهه ، قال تعالى : ﴿ وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ

---

(١) صححه الألباني - رحمه الله - في صحيح الجامع برقم (٥٢٥٠)

وساءت مرتفقا ﴾ [الكهف : ٢٩] .

• وأما عن كسوتهم ولباسهم فيها وأسرّتهم :

فقال تعالى: ﴿ فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار ﴾ [الحج : ١٩] ، وكان إبراهيم التميمي إذا تلا هذه الآية يقول : سبحان من خلق من النار ثياباً ، وقال تعالى : ﴿ وترى المجرمين يومئذ مقرنين في الأصفاد (٤٩) سرابيلهم من قطران وتغشى وجوههم النار (٥٠) ﴾ [إبراهيم : ٤٩ ، ٥٠] .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : القطران هو النحاس المذاب .

وعن عكرمة قال : من صفر يحمى عليها .

وقال تعالى : ﴿ لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش ﴾ .

[الأعراف : ٤١] .

والمهاد : الفراش ، والغواش : اللحف .

• وأما عن بكائهم وعويلهم :

فـقـال تعـالى : ﴿ وإذا ألقوا منها مكانا ضيقا مقرنين دعوا هنالك ثبورا (١٣) ﴾ [الفرقان : ١٣] ، وقال أيضاً : ﴿ وهم يصطرخون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل ﴾ [فاطر : ٣٧] ، وقال أيضاً : ﴿ لهم فيها زفير وهم فيها لا يسمعون (١٠٠) ﴾ [الأنبياء : ١٠٠] .

عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « يرسل البكاء على أهل النار ، فيبكون حتى تنقطع الدموع ، ثم يبكون الدم حتى يصير في وجوههم كهيئة الأخدود ، ولو أرسلت فيها السفن لجرت » [١] .

---

(١) حسنه الألباني - رحمه الله - في صحيح الجامع برقم (٨٠٨٣) .

• وأما عن خزنة جهنم وزبانيتها :

فقال تعالى : ﴿ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ (٣٠) وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلاَّ مَلائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلاَّ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ [المدثر : ٣٠ ، ٣١] .

وقد وصف الله الملائكة الذين على النار بالغلظة والشدة ، قال تعالى : ﴿ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لاَّ يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [التحريم : ٦] .

• ومن بعض ألوان العذاب في النار :

روى أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ أنه قال : « يؤتى بأنعم الناس يوم القيامة من أهل النار ، فيصبغ في النار ، ثم يقال: يا ابن آدم هل رأيت خيراً قط ؟ ، هل مرَّ بك نعيم قط ؟ ، فيقول : لا والله يارب ، ويؤتى بأشد الناس بؤساً في الدنيا من أهل الجنة فيصبغ صبغة في الجنة فيقال له : يا ابن آدم هل رأيت بؤساً قط ؟ ، هل مرَّ بك شدة قط ؟ ، فيقول : لا والله يارب ما مرَّ بي بؤس قط ، ولا رأيت شدة قط » (١) .

• ومن عذاب أهل النار المعنوي :

أن الملائكة تبكتهم قبل أن يدخلوا منازلهم في النار كما قال تعالى : ﴿ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ (٨) قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ ﴾ [الملك : ٨] .

• ومن عذابهم المعنوى أيضاً :

أنهم يلعن بعضهم بعضاً ويسب بعضهم بعضاً ، قال تعالى : ﴿ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا ﴾ [الأعراف : ٣٨] (٢) .

---

(١) رواه مسلم (١٧/١٤٩) وابن ماجه (٤٣٢١) .
(٢) راجع التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار لابن رجب الحنبلى – رحمه الله – ، وعقيدة المؤمن لأبى بكر الجزائرى – حفظه الله – وإحياء علوم الدين للغزالى – رحمه الله – .

[فصل]

تذكرة وموعظة

قال الغزالي رحمه الله :

« يا أيها الغافل عن نفسه ، المغرورة بما هو فيه من شواغل هذه الدنيا ، المشرفة على الانقضاء والزوال ، دع التفكير فيما أنت مرتحل عنه ، واصرف الفكر إلى موردك ، فإنك أُخبرت بأن النار موردٌ للجميع إذ قيل : ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا (٧١) ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا (٧٢) ﴾ [مريم : ٧١ - ٧٢] .

فأنت من الورود على يقين ، ومن النجاة في شك ، فاستشعر في قلبك هول ذلك المورد ، فعساك تستعد للنجاة منه ، وتأمل في حال الخلائق وقد قاسوا من دواهي القيامة ما قاسوا ، فبينما هم في كربها وأهوالها وقوفاً ينتظرون حقيقة أبنائها ، وتشفيع شفعائها ، إذ أحاطت بالمجرمين ظلمات ذات شعب ، وأظلت عليهم نار ذات لهب ، وسمعوا لها زفيراً وجرجرة تفصح عن شدة الغيظ والغضب ، فعند ذلك أيقن المجرمون بالعطب ، وجثت الأمم على الركب ، حتى أشفق البرآء من سوء المنقلب .

وخرج المنادي من الزبانية قائلاً : **أين فلان بن فلان المسوِّف نفسه في الدنيا بطول الأمل ، المضيِّع عمره في سوء العمل** ؟ ... فيبادرونه بمقامع من حديد ويستقبلونه بعظائم التهديد ، ويسوقونه إلى العذاب الشديد ، وينكسونه في قعر الجحيم ، ويقولون له : ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ (٤٩) ﴾ .
[الدخان : ٤٩] .

فأُسكنوا داراً ضيقة الأرجاء ، مظلمة المسالك ، مبهمة المهالك ، يخلد فيها الأسير ويرقد فيها السعير ، شرابهم فيها الحميم ، ومستقرهم الجحيم ،

الزبانية تقمعهم ، أمانيهم فيها الهلاك ، وما لهم منها فكاك ، قد شُدَّت أقدامهم إلى النواصي ، واسودت وجوههم من ظلمة المعاصي ، ينادون من أكنافها ويصيحون في نواحيها وأطرافها : يا مالك قد حق علينا الوعيد ، يا مالك قد أثقلنا الحديد ، يا مالك قد نضجت منا الجلود ، يا مالك أخرجنا منها فإنا لا نعود .... .

فتقول الزبانية : هيهات لات حين أمان ، ولا خروج لكم من دار الهوان ، فاخسئوا فيها ولا تكلمون ، ولو أخرجتم منها لكنتم إلى ما نُهيتم عنه تعودون .

فعند ذلك يقنطون ، وعلى ما فرطوا في جنب الله يتأسفون ، ولا ينجيهم الندم ، ولا يغنيهم الأسف ، بل يكبون على وجوههم مغلولين ، النار من فوقهم ، والنار من تحتهم ، والنار عن أيمانهم ، والنار عن شمائلهم ، فهم غرقى في النار ، طعامهم نار وشرابهم نار ، ولباسهم نار ، ومهادهم نار ، فهم بين مقطعات النيران وسرابيل القطران ، وضرب المقامع وثقل السلاسل ، فهم يتجلجلون في مضايقها ، ويتحطمون في دركاتها ، ويضطربون بين غواشيها ، تغلي بهم النار كغلي القدور ، ويهتفون بالويل والعويل ، ومهما دعوا بالثبور صُبَّ من فوق رءوسهم الحميم ، يُصهر به ما في بطونهم والجلود ، ولهم مقامع من حديد ، تهشم بها جباههم ، فيتفجر الصديد من أفواههم ، وتنقطع من العطش أكبادهم ، وتسيل على الخدود أحداقهم ، ويسقط من الوجنات لحومهم ، ويتمعط من الأطراف شعورها ، بل جلودها ، وكلما نضجت جلودهم بدلوا جلوداً غيرها ، قد عُرِّيت من اللحم عظامهم ، فبقيت الأرواح منوطة بالعروق ، وعلائق العصب ، وهي تنش في لفح تلك النيران ، وهم مع ذلك يتمنون الموت فلا يموتون [١] .

---

(١) إحياء علوم الدين (٤/٥٣٠) .

[فصل]

فيما يُرجي من عفو الله ورحمته

وإذا كنا ذكرنا صفة النار وأحوال أهلها فيها ، فإننا لا نعني بذلك أبداً أن نُيئس الناس ونجعلهم يفقدون الأمل في رحمة الله وعفوه ومغفرته ، بل إننا لا نقصد الإنذار والتخويف لذاته ، وإنما لما يتبع ذلك من انكسار القلب وإنابته إلى الله وخضوع الجوارح لطاعة مولاها وسيدها ، فيظهر على العبد آثار ذلك من عبادة الله وحده والعمل الصالح .

قال تعالى :﴿ وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (٣) ﴾ [العصر : ١ - ٣] .

وقال تعالى مثنياً على الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، ومخبراً بأحوالهم ومآلهم :﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا (٩٦) ﴾ [مريم : ٩٦] .

﴿ فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٥٠) ﴾ .
[الحج : ٥] .

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ ﴾ .
[العنكبوت : ٥٠] .

﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ (١٥) ﴾ .
[الروم : ١٥] .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ (٨) ﴾ .
[لقمان : ٨] .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ (٨) ﴾ .
[فصلت : ٨] .

فالعمل الصالح نتيجة طبيعية للإيمان الراسخ في قلب المسلم الحق ، وتخلف هذا العمل الصالح يقدح في إيمانه ولا شك ، فالمقصود أن من تعرَّف على النار وأحوال أهلها فيها أن يدفعه ذلك إلى الاعتناء الشديد بنفسه ، فيجدد إيمانه ويعمل الأعمال الصالحة ، ثم يتطلع بعد ذلك إلى سعة رحمة الله وعفوه ومغفرته .

قال تعالى : ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٥٣) ﴾ [الزمر : ٥٣] .

وقال أيضاً : ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ [الأعراف : ١٥٦] .

وروى مسلم عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ما الموجبتان ؟ قال : « من مات لا يشركُ بالله شيئاً دخل الجنة ، ومن مات يشركُ به شيئاً دخل النار » .

وروى البخاري ومسلم عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قدم رسول الله ﷺ بسَبْي فإذا امرأةٌ من السبي تسعى إذا وجدت صبياً في السبي أخذتهُ فألزقته ببطنها فأرضعته فقال رسول الله ﷺ : « أترون هذه المرأة طارحة ولدها في النار ؟ » ، قلنا : لا والله ، فقال ﷺ : « الله أرحم بعباده من هذه بولدها » .

ورويا أيضاً عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله ﷺ : « لمَّا خلق الله الخلق كتب في كتاب فهو عنده فوق العرش ، إن رحمتي تغلبُ غضبي » .

وروى مسلم عنه أيضاً قال : رسول الله ﷺ : « والذي نفسي بيده لو لم تُذنبوا لذهب الله بكم وجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم » .

وروى مسلم أيضاً عن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال : « إن الله تعالى يَبْسُطُ يده بالليل ليتوب مسيء النهار ، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها »

وروى الترمذي عن النبي ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « قال الله تعالى : يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي ، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ، يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقُراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقُرابها مغفرة »[1] .

فيا أمة الله ...

« هلمي إلى الدخول على الله ومجاورته في دار السلام ، بلا نصب ولا تعب ولا عناء ، بل من أقرب الطرق وأسهلها ، وذلك أنك في وقت بين الوقتين وهو في الحقيقة عمرك ، وهو وقت الحاضر بين ما مضى وما يستقبل ، فالذي مضى تصلحينه بالتوبة والندم والاستغفار ، وذلك شيء لا تعب عليك فيه ولا نصب ، ولا معاناة عمل شاق ، وإنما هو عملُ قلب ، وتمتنعين فيما يستقبل من الذنوب ، وامتناعك تركٌ وراحةٌ ليس هو علماً بالجوارح يشق عليك معاناته ، وإنما هو عزم ونية جازمة تريح بدنك وقلبك وسرك ، فما مضى تصليحنه بالتوبة ، وما يستقبل تصلحينه بالامتناع والعزم والنية ، وليس للجوارح في هذين نصب ولا تعب ، ولكنَّ الشأن في عمرك وهو وقتك الذي بين الوقتين ، فإن أضعتيه أضعت سعادتك ونجاتك ، وإن حفظتيه مع إصلاح الوقتين الذين قبله وبعده بما ذكر ، نجوت وفزت بالراحة واللذة والنعيم ، وحفظه أشق من إصلاح ما قبله وما بعده ، فإن حفظه أن تلزمي نفسك بما هو أولى بها وأنفع لها وأعظم تحصيلاً لسعادتها .

وفي هذا تفاوت الناس أعظم تفاوت ، فهي والله أيامك الخالية التي تجمعين فيها الزاد لمعادك ، إما إلى الجنة وإما إلى النار ، فإن اتخذت إليها سبيلاً

---

(١) قال الترمذي : حديث حسن ، وصححه الألباني - رحمه الله - في الصحيحة برقم (١٢٧)

إلى ربك بلغت السعادة العظمى ، والفوز الأكبر فى هذه المدة اليسيرة التى لا نسبة لها إلى الأبد ، وإن آثرت الشهوات والراحات واللهو واللعب ، انقضت عنك بسرعة وأعقبتك الألم العظيم الدائم الذى مقاساته ومعاناته أشق وأصعب وأدوم من معاناة الصبر عن محارم الله، والصبر على طاعته ومخالفة الهوى لأجله) [١].

وما داركم هَذي بدار إقامةٍ ... ولكنَّها دار ابتلاً وتزوَّد

أما جاءكم من ربكم وتزودوا ... فما عُذْرُ من وافاه غير مُزَوَّدِ

وما هذه الأيام إلا مراحلٌ ... تُقَرِّبُ من دار اللِّقا كلَّ مُبْعد

ومن سار نحو الدار ستين حجة ... فقد حان منه الملتقى وكأنه قدِ

وما الناس إلا مثل سَفْرٍ تتابعوا ... مقيم لتهويمٍ على إثر مُقْعدِ

وفي السُقْم والآفات أعظم حكمة ... مُيَقِّظة ذاً اللب عند التفقد

ينادي لسان الحال جُدُّوا لترحلوا ... عن المنزل الغثِّ الكثير التنكُدِ

أتاك نذير الشيب والسقم مُخبراً ... بأنك تتلوا القوم في اليوم أو غدِ

ومن كان ملك الموت كافل روحه ... إذا فاته في اليوم لم ينجُ في غدِ

ومن روحه في الجسم منه وديعة ... فهيهات أمنٌ يرتجى من مُرَدَّدِ

فما حقُ ذي لُب يبيتُ بليلةٍ ... بلا كَتْب إيصاءٍ وإشهادِ شُهَّدِ

فبادر هجومِ الموتِ في كسب ما به ... تفوز غداً يوم القيامة واجهدِ

ونفسك فاجعلها وَصِيَّك مُكْثراً ... لسَفْرة يوم الحشر طيب التزودِ

وَمَثِّلْ ورودَ القبر مهما رأيتَهُ ... لنفسك نفاعاً فقَدِّمْهُ تسعدَ

فما نفعَ الإنسانَ مثلُ اكتسابه ... بيومٍ يفر المرء من كل محتدِ [٢]

---

(١) الفوائد لابن القيم .

(٢) إرشاد العباد للاستعداد ليوم المعاد ، للشيخ / عبد العزيز السلمان (ص ١٠١)

فيا أمة الله سارعي إلى المغفرة ، فقد دعاك إلى النجاة مولاك ، وفتح باب الإجابة وناداك ، ودلك على منافعك وهداك ، وحثك على البدار رفقاً بك بقوله : ﴿ وسارِعوا إلىٰ مغفرةٍ من ربكم ﴾ [آل عمران : ١٣٣] ، لله درُّ أقوام بادروا الأوقات ، واستدركوا الهفوات ، شغلوا العيون بالدموع من النظر إلى المحرمات ، وسجنوا الألسن فى سجن الصمت عن موارد الهفوات ، وكفوا الأكف عن تناول الشهوات ، وقيدوا الأقدام عن السعي إلا إلى الطاعات ، إن غشيهن الليل ضجوا بالأصوات في الخلوات ، وإن أقبل النهار قطعوه بمقاطعة اللذات ، أفيطمع في لحاقهم من عري عن هذه الصفات ، أو يرجو الخلاص مع عدم الإخلاص ﴿ أمْ حسِبَ الَّذِين اجترحوا السَّيِّئاتِ أن نَجعلهمْ كَالَّذين آمنوا وعمِلوا الصَّالحاتِ ﴾ [الجاثية : ٢١] .



الباب الخامس

طرق النجاة من النار

وتنقسم إلى قسمين :

الأول : أسباب ذكرت في الأحاديث السابقة بالباب الأول .

الثاني : أسباب وردت في أحاديث أخرى .

فأما الأسباب التي ذكرت في الأحاديث السابقة والواردة بالباب الأول فهي :

[١] الصدقة . [٢] كثرة الاستغفار .

[٣] القيام بحقوق الزوج . [٤] حفظ اللسان عن اللعن وغيره .

ولنتحدث عن كل واحدة بشيء من التفصيل .

أولاً : الصدقة :

لقوله ﷺ : « تصدقن » : أي :كن أيتها النساء أهل سخاء وكرم وإنفاق ، فلا تبخل إحداكن بفضل طعام أو شراب أو كساء ، واتقين النار بالصدقة .

قال تعالى : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾ .

[التوبة : ١٠٣] .

قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ ﴾

[المعارج : ٢٤ ، ٢٥] .

وقال أيضاً : ﴿ وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ .

[المنافقون : ١٠] .

وقال أيضاً : ﴿ وما لكُمْ ألاَّ تُنفقُوا فِي سبيل اللَّه ولِلَّه ميراثُ السَّموات

وَالأَرْضِ ﴾ [الحديد : ٩] .

وقال أيضاً : ﴿ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لا تُظْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ٢٧٢] .

وروى البخارى ومسلم عنه ﷺ أنه قال : « لا حسد إلا في اثنتين : رجل أتاه الله مالاً فسلَّطه على هلكته في الحق ، ورجل أتاه الله الحكمة ، فهو يقضي بها ويعلمها » .

وعن أبي ذر رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال : « ما من عبد مسلم ينفق من كل مالٍ له زوجين في سبيل الله ، إلا استقبلته حجبة الجنة كلهم يدعو إلى ما عنده » ، قلت : وكيف ذلك ؟ قال : « إن كانت إبلاً فبعيرين ، وإن كانت بقراً فبقرتين » [(١)] .

وروى كثير بن زيد عن المطلب بن عبد الله عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال لها : « يا عائشة استتري من النار ولو بشق تمرة ، فإنها تسد من الجائع مسدها من الشبعان » [(٢)] .

وروى الطبراني في « الكبير » من حديث فضالة بن عبيد مرفوعاً :

« اجعلوا بينكم وبين النار حجاباً ، ولو بشق تمرة » [(٣)] .

وروى البخاري ومسلم عنه ﷺ أنه قال : « ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما : اللهم أعط منفقاً خلفاً ، ويقول الآخر : اللهم أعط ممسكاً تلفاً » .

والصدقة أختي المسلمة لا تقف عند حد بذل المال فحسب ، بل أشمل وأوسع من ذلك .

---

(١) أخرجه النسائى ، والدارمى ، وابن حبان ، وغيرهم ، وإسناده صحيح (الصحيحة ٦٧) .

(٢) قال المنذرى : أخرجه أحمد بإسناد حسن ، وحسنه الألبانى (الصحيحة ٢ / ٥٩٧) .

(٣) حسنه الألبانى - رحمه الله - (الصحيحة ٨٩٧) .

روى البخارى ومسلم عنه ﷺ أنه قال : « اتقوا النار ولو بشق تمرة ، إن لم تجد فبكلمة طيبة » .

● بل بشاشتك في وجوه أخواتك المسلمات يكتب لك بها صدقة ، لما رواه مسلم عنه ﷺ أنه قال : « لا تحقرن من المعروف شيئاً ، ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق » .

● ومساعدتك للمسلمة وقد وقعت في شدة ، أو أمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر يكتب لك أيضاً به صدقة .

● لما رواه البخارى عن النبي ﷺ قال: « على كل مسلم صدقة » ، قالوا : يارسول الله ، فمن لم يجد ؟!، قال: « يعمل بيده ، فينفع نفسه ويتصدق » ، قالوا : فإن لم يستطيع ؟ ، قال : « فيعين ذا الحاجة الملهوف »[١] ، قالوا : فإن لم يفعل ؟ ، قال : « فيأمر بخير - أو قال - بالمعروف » ، قالوا : فإن لم يفعل ؟ ، قال : « فيمسك عن الشر ، فإنه له صدقة » .

ولقد قال النبي ﷺ مبيّناً أنواع الخيرات الكثيرة ، وكثرة طرقها : « كلُّ سُلامى من الناس عليه صدقة ، كل يوم تطلع فيه الشمس ، قال : تعدل بين الاثنين صدقة ، وتعين الرجل في دابته فتحمله عليها ، أو ترفع له عليها متاعة صدقة ، قال : والكلمة الطيبة صدقة ، وبكل خُطوة تمشيها إلى الصلاة صدقة ، وتميط الأذى عن الطريق صدقة »[٢] .

فعلى المرأة المسلمة أن تبذل الصدقة بكل أنواعها ما وسعها ذلك ، فالصدقة

---

(١) الملهوف : هو الذى وقع فى شدة وورطة يحتاج إلى من يخلصه منها ، ومعنى إعانته أى الأخذ بيده ، وتفريج كربته .

(٢) أخرجه البخارى ومسلم واللفظ له . قوله : « سُلامى » : هو العضو من الإنسان وقيل الأنملة من أنامل الأصابع ، ثم استعمل فى سائر عظام البدن ومفاصله . والمعنى : على كل عظم ومفصل من ابن آدم صدقة ، وفى الإنسان ثلاثمائة وستون مفصلاً .

المالية نجاة لها من عذاب النار كما جاء في الأحاديث ، وأما الصدقات الأخرى يكتب لها بها أجر ، فيُثقِّل هذا ميزان حسناتها عند الله يوم القيامة .

وما أجمل المرأة المسلمة التي تبذل من مالها لإعانة أخواتها المسلمات من الفقراء والمساكين ، وما أجمل المرأة المسلمة عندما تشعر بشعورهن ، فتبذل لهن كل ما تستطيع من مال وغيره .

ولنا في أمهات المؤمنين القدوة الصالحة ، فقد أخرج الشيخان واللفظ لمسلم : عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « **أسرعكن لحوقاً بي أطولكن يداً** » . قالت : فكُنَّ يتطاولن أيتُّهن أطول يداً . قالت : وكانت أطولنا يداً زينب لأنها كانت تعمل بيدها وتتصدق » .

وفي طريق آخر :

قالت عائشة رضي الله عنها « فكنا إذا اجتمعنا في بيت إحدانا بعد وفاة رسول الله ﷺ نمد أيدينا في الجدار نتطاول ، فلم نزل نفعل ذلك حتى توفيت زينب بنت جحش ، وكانت امرأة قصيرة ولم تكن بأطولنا ، فعرفنا حينئذ أن النبي ﷺ إنما أراد طول اليد بالصدقة »[(١)] .

وعن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما قال : « **ما رأيت امرأتين قطُّ أجود من عائشة وأسماء ، وجودُهما مختلف : أما عائشة فكانت تجمع الشيء حتى إذا اجتمع عندها قسمت ، وأما أسماء فكانت لا تمسك شيئاً لغد** »[(٢)] .

وأخرج مالك في الموطأ أنه بلغه عن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ أن مسكيناً سألها وهي صائمة وليس في بيتها إلا رغيف ، فقالت لمولاة لها : أعطيه إياه ، فقالت : ليس لك ما تفطرين عليه ، فقالت : أعطيه إياه . قلت :

---

(١) البخارى (٧٥٨) ، ومسلم (٤٤) .
(٢) أحكام النساء لابن الجوزى .

ففعلت ، فلما أمسينا أهدى لنا أهل بيت - أو إنسان ما كان يُهدي لنا - شاة وكنفه [١] فدعتني عائشة رضي الله عنها فقالت : كلي من هذا ، هذا خير من قرصك .

وقال مالك : بلغنى أن مسكيناً استطعم عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ وبين يديها عنب ، قالت لإنسان : خذ حبة فأعطه إياها ، فجعل ينظر إليها ويعجب ، فقالت عائشة : أتعجب ؟ ، كم ترى في هذه الحبة من مثقال ذرة ! [٢] .



---

(١) أى : يغطيها من الرغفان .
(٢) حياة الصحابة للكاندهلوى (٢/٤١٣)

[فصل]

فوائد الصدقة

[١] تنمية ثواب الصدقة وزيادة أجرها وادخارها عند الغني الوهاب ، لما رواه البخاري ومسلم عنه ﷺ أنه قال : « **من تصدق بعَدْل** - أي بمقدار - **تمرة من كسبٍ طيب - ولا يتقبل الله إلا الطيب - فإن الله يقبلها بيمينه ، ثم يُرَبِّيها لصاحبها كما يُربي أحدكم فَلُوَّه** - أى مُهره - **حتى تكون مثل الجبل** » .

[٢] يضع الله البركة في المال الباقي ، ويُبعد عنه المصائب ويزيده نماءً كما جاء في حديث مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **ما نقصَت صدقةٌ من مال ، وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً ، وما تواضع أحدٌ لله إلا رفعه الله عز وجل** » .

[٣] تُبعد الصدقة صاحبها عن النار ، وتَفُكُّ عنه ضيق الدنيا والآخرة كما فى حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **اتقوا النار ولو بشق تمرة** » (١) .

[٤] الصدقة برهان على صحة الإيمان ، كما في حديث أبي مالك الأشعري عند مسلم : « **والصدقة برهان** » .

[٥] يُسخر الله للمتصدق ما يفيده من سقي أرض ، ومساعدة ، ووجود مال ، ومحبة الأصدقاء ، كما في الحديث الذي رواه مسلم ، أن رجلاً سمع صوتاً في السحاب يقول : « اسق حديقة فلان » ، وذلك لأنه كان يتصدق بالثلث .

---

(١) متفق عليه .

وكذلك الصدقة سبب زيادة الرزق ونصر الله وعنايته بالمتصدق ، وهي تزيل الخطايا ، وتغسل صحيفة صواحبها من الأدناس وتطهرها من الذنوب ، وهي تصد الرزايا ، وتمنع الحوادث ، وتجلب حسن الخاتمة ، وتدفع العواقب السيئة ، والصدقة أيضاً درع قوي يلبسه المحسن فيقيه عاديات الدهر وحوادث الزمان ، والصدقة أيضاً تهدم حصون الشيطان ، وتحطم قيوده ، وترد كيده ، وتصدّ بغيه ، والصدقة أيضاً تضع البركة في العمر بإذن الله تعالى ، وتجلب الصدقة ، وتدعو إلى الوئام ، وتجلب محبة الناس [(١)] .

ثانياً : كثرة الاستغفار :

عن يُسَيْرَة رضي الله عنها – وكانت من المهاجرات – قالت : قال لنا رسول الله ﷺ : « **عليكن بالتسبيح والتهليل ، والتقديس ، واعقدنْه بالأنامل ، فإنهن مسئولات مستنطقات ، ولا تَغْفُلْنَ فتنْسَيْنَ الرحمة** » [(٢)] .

والتسبيح هو قول : سبحان الله ، والتهليل هو قول : لا إله إلا الله ، والتقديس هو قول : سبحان الله الملك القدوس ، أو سبوح قدوس رب الملائكة والروح .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن جويرية رضي الله عنها أن النبي ﷺ خرج من عندها بكرة حين صلى الصبح ، وهي في مسجدها ، ثم رجع بعد أن أضحى وهي جالسة ، فقال : « **ما زلت على الحال التي فارقتك عليها ؟** » ، قالت : نعم ، قال النبي ﷺ : « **لقد قلتُ بعدك أربع كلمات ثلاث مرات ، لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنَتْهُنَّ : سبحان الله وبحمده ، عدد خلقه ورضا نفسه ،**

---

(١) حث النساء على بذل المال والطعام والكساء لمريم السالم – بتصرف – ، وراجع موارد الظمآن لدروس الزمان للشيخ عبد العزيز السلمان (١/ ٢١٣) ط (١٠) .

(٢) أخرجه أبو داود (١٥٠١) ، والترمذى (٣٦٥٣) ، وأحمد (٣٧٧١/٦) ، وحسنه الألبانى فى صحيح سنن الترمذى برقم (٢٨٣٥) (١٨٣/٣) .

وزنة عرشه ومداد كلماته » [1] .

ولو تأملنا في كتاب الله تعالى لوجدنا آيات كثيرة تدعو إلى التوبة والاستغفار . من ذلك قوله تعالى : ﴿ وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا (١٠٦) ﴾ [النساء : ١٠٦] .

وقوله تعالى : ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ (١) وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا (٢) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا (٣) ﴾ .
[النصر : ٣] .

وقوله تعالى : ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا (١١٠) ﴾ [النساء : ١١٠] .

وقوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٣٥) ﴾ .
[آل عمران : ١٣٥] .

ومن السُّنة : ما رواه البخارى عن أبى هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة » .

وروى عن لقمان أنه قال لابنه :

يا بني عود لسانك « اللهم اغفر لي » ، فإن لله ساعات لا يَرُدُّ فيها سائلاً .
وقال الحسن : أكثروا من الاستغفار في بيوتكم ، وعلى موائدكم ، وفي طرقكم ، وفي أسواقكم ، وفي مجالسكم ، وأينما كنتم ، فإنكم ما تدرون متى تنزل المغفرة .

---

(١) أخرجه مسلم (١٧/٤٤) ، وأبو داود (١٥٠٣) ، والترمذى (٣٦٢٦) وغيرهم .

وقال قتادة : إن هذا القرآن يدلكم على دائكم ودوائكم ، فأما داؤكم فالذنوب ، وأما دواؤكم فالاستغفار .

وقال عليٌّ رضي الله عنه : ما ألهم الله سبحانه عبداً الاستغفار وهو يريد أن يعذبه. ولا يخفى على أحد أنه لا يَسْلم أحدٌ منَّا من ذنب ، لذا وجب على كل مسلم ومسلمة الاعتناء بهذه العبادة اعتناءً شديداً ، فضلاً عن المرأة ، والتي بيَّن لها النبي ﷺ - كما جاء في أحاديث الكتاب - أن كثرة الاستغفار نجاة لها من عذاب النار .

يقول المقدسي رحمه الله :

« والتوبة واجبة على الدوام ، فإن الإنسان لا يخلو عن معصية ، ولو خلا عن معصية الجوارح ، لم يخل عن الهم بالذنب بقلبه ، وإن خلا عن ذلك ، لم يخل عن وسواس الشيطان بإيراد الخواطر المتفرقة المذهلة عن ذكر الله تعالى ، ولو خلا عنه لم يخل عن غفلة وقصور في العلم بالله تعالى وصفاته وأفعاله ، وكل ذلك نقص ، ولا يسلم أحدٌ من هذا النقص ، ولذا وجب على العبد التوبة على الفور وعلى الدوام » .

لذا فإنه ينبغي للمسلمة أن تكون مشتغلة دائماً بالاستغفار ولا يغفل لسانها عنه .



[فصل]

[بعض فوائد الاستغفار] (١)

وللاستغفار فضائل وفوائد :

• فمنها تكفير السيئات ورفع الدرجات :

قال الله – تبارك وتعالى – : ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا (١١٠) ﴾ [النساء : ١١٠] .

وقال سبحانه وتعال : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ [التحريم : ٨] .

وتقدم أن الله عز وجل يُنادى فى الثلث الأخير من الليل : « من يستغفرنى فأغفر له » (٢) .

وتقدم قوله تعالى فى الحديث القدسى أيضاً : « فاستغفرونى أغفر لكم » (٣) .

وفى الحديث أن النبى ﷺ قال : « إن الله – عز وجل – ليرفع الدرجة للعبد الصالح فى الجنة فيقول : يارب أنَّى لى هذه ؟ فيقول باستغفار ولدك لك » (٤) .

• ومن فوائده : أنه سبب لسعة الرزق والإمداد بالمال والبنين :

قال نوح عليه السلام لقومه : ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (١٠)

---

(١) مستفاد من الاستغفار للشيخ / مصطفى العدوى ص (٩٣ : ١٠٧) باختصار .
(٢) ، (٣) كلاهما صحيح .
(٤) حسن : أخرجه أحمد (٥٠٩/٢) من حديث أبى هريرة رضي الله عنه مرفوعاً .

يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ⑪ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا ⑫ ﴾ [نوح : ١٠ - ١٢] .

وقال الله سبحانه : ﴿ وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ③ ﴾ [هود : ٣] .

● ومن فوائده : أنه سبب القوة فى البدن كذلك :

قال هود عليه السلام لقومه : ﴿ وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ ⑤② ﴾ .

[هود : ٥٢] .

● ومن فوائده : أنه سبب لدفع المصائب ورفع البلايا :

فالمصائب فى كثيرٍ من الأحيان سببها الذنوب والمعاصى [(١)] كما قال الله تعالى : ﴿ وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ ③⓪ ﴾

[الشورى : ٣٠] .

وكما قال تعالى : ﴿ وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا مِّنْهُمُ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ

---

(١) وإن كانت هناك ابتلاءات تقع فى بعض الأحيان لإظهار الصادق من الكاذب ولإثابة المؤمنين وتمحيصهم ومحق الكافرين ، كما قال تعالى : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ ③① ﴾ [محمد ٣١] .
وكما قال سبحانه : ﴿ أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ② وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ③ ﴾ [العنكبوت : ٢ ، ٣] .
وضبط هذا يكمن فى أن العبد ينظر نفسه فإن وجدها خفيفة من الذنوب فليعلم أن ما وقع فيه إنما هو ابتلاء من الله فليوطن العبد نفسه على الصبر والرضا بأقدار الله - سبحانه وتعالى - وأيضاً ليكثر من الاستغفار لعله فعل ذنباً وهو لا يشعر .
أما إذا رأى العبد نفسه مرتكباً للمعاصى ومسرفاً على نفسه وحلت به بلية فليعلم أنها بسبب كسبه فليقلع عن الذنب والمعصية فوراً وليؤد المظالم إلى أهلها ويقبل على التوبة والاستغفار والرجوع إلى الله وليكثر من أعمال البر والخير المكفرة للذنوب .

دُون ذلكَ وبلوناهُم بالْحسنات والسَّيِّئات لعلَّهُم يرجعُون (١٦٨) ﴾ [الأعراف : ١٦٨] .

وكما قال تعالى : ﴿ فأنزلْنا علَى الَّذينَ ظَلَمُوا رجْزًا مّنَ السَّمَاء بمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ [البقرة : ٥٩] .

فالمصيبة تنزل فى كثير من الأحيان بذنب فإذا أحدث العبد استغفاراً وتوبة نصوحاً من هذا الذنب ترتفع المصيبة بإذن الله ، فالله سبحانه وتعالى يقول : ﴿ ما يَفْعَلُ اللَّهُ بعَذَابكُمْ إن شَكَرْتُم وآمنتُمْ ﴾ [النساء : ١٤٧] .

ويقول سبحانه : ﴿ ومَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وهُمْ يَسْتَغْفرُونَ (٣٣) ﴾ [الأنفال : ٣٣] .

ولذلك كان أهل الإيمان إذا واجهوا عدواً تذكروا أن الذنوب سبب فى تسلط العدو عليهم ، فالذى يُسلط هو الله ، والذى يكف اليد هو الله - سبحانه وتعالى - كما قال تعالى : ﴿ ولوْ شاء اللهُ لسلَّطهمْ عليكُمْ فلَقَاتَلُوكُمْ ﴾ [النساء : ٩٠] .

وكما قال سبحانه : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نعْمَتَ اللَّه عَلَيْكُمْ إذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوا إلَيْكُمْ أَيْديَهُمْ فَكَفَّ أَيْديَهُمْ عَنكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّه فَلْيَتَوَكَّل الْمُؤْمنُونَ (١١) ﴾ [المائدة : ١١] .

وكما قال تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذي كَفَّ أَيْديَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْديَكُمْ عَنهُم ﴾ [الفتح : ٢٤] .

فمن ثم كان أهل الإيمان يستغفرون الله من ذنوبهم حتى لا يتسلط عليهم العدو بسببها .

قال الله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إلاَّ أن قَالُوا ربَّنا اغْفرْ لنا ذُنُوبنا وإسْرافنا في أمْرنا وثَبّتْ أقْدامنَا وانصُرْنا على الْقَوم الْكَافرين ﴾ [آل عمران : ١٤٧] .

• أما كون الاستغفار سبباً لرفع البلايا :

فقد قال الله سبحانه وتعالى فى شأن نبيه يونس عليه السلام :

﴿ فَلَوْلا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ (١٤٣) لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ (١٤٤) ﴾ [الصافات : ١٤٣ : ١٤٤] .

ووصف تسبيحه فى آية أخرى بأنه ﴿ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ [الأنبياء : ٧٨] .

• ومن فوائده : أنه سبب لبياض القلب وصفائه ونقائه :

فالذنوب تترك أثراً سيئاً وسواداً على القلب كما ورد عن النبى ﷺ أنه قال : « إن المؤمن إذا أذنب كانت نكتة سوداء فى قلبه فإن تاب ونزع واستغفر صقل قلبه وإن زاد زادت حتى يعلو قلبه ذاك الرين الذى ذكر الله - عز وجل - فى القرآن ﴿ كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ (١٤) ﴾ [المطففين : ١٤] »[١] .

وفى الحديث الذى أخرجه مسلم[٢] من حديث حذيفة قال : كنا عند عمر . فقال : أيكم سمع رسول الله ﷺ يذكر الفتن ؟ فقال قوم : نحن سمعناه . قال : لعلكم تعنون فتنة الرجل[٣] فى أهله وجاره ! قالوا : أجل ،

---

(١) أخرجه أحمد (٢٩٧/٢) والترمذى (٣٣٣٤) من حديث أبى هريرة رضي الله عنه بإسناد حسن .

(٢) مسلم حديث (١٤٤) .

(٣) « فتنة الرجل » قال أهل اللغة : أصل الفتنة فى كلام العرب الإبتلاء والامتحان والاختبار ، قال القاضى : ثم صارت فى عرف الكلام ، لكل أمر كشفه الاختبار عن سوء ، قال أبو زيد : فتن الرجل يفتن فتوناً إذا وقع فى الفتنة وتحول من حال حسنة إلى سيئة ، وفتنة الرجل فى أهله وماله وولده ضروب من فرط محبته لهم، وشحه عليهم ، وشغله بهم عن كثير من الخير كما قال تعالى: ﴿ أنما أموالكم وأولادكم فتنة ﴾ [الأنفال : ٢٩] أو لتفريطه بما يلزم من القيام بحقوقهم ، وتأديبهم وتعليمهم ، فإنه راع لهم ومسئول عن رعيته ، وكذلك فتنة الرجل فى جاره من هذا ، فهذه كلها فتن تقتضى المحاسبة ، ومنها ذنوب يرجى تكفيرها بالحسنات كما قال تعالى : ﴿ إن الحسنات يذهبن السيئات ﴾ [هود : ١١٤] .

قال : تلك تكفرها الصلاة والصيام والصدقة ، ولكن أيكم سمع النبى ﷺ يذكر الفتن التى تموج موج البحر [١] ؟ قال حذيفة : فأسكت القوم [٢] ، فقلت : أنا ، قال : أنت ، لله أبوك [٣] ! .

قال حذيفة : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « تعرض الفتن [٤] على القلوب كالحصير عوداً عوداً [٥] ، فأى قلب أشربها [٦] نُكت فيه نُكتة [٧] سوداء ، وأى قلب أنكرها [٨] نُكت فيه نُكتة بيضاء ، حتى تصير على قلبين ، على أبيض مثل الصفا [٩] ، فلا تضره فتنة ما دامت السموات

---

(١) « التى تموج موج البحر » أى : تضطرب ويدفع بعضها بعضاً . وشبّهها بموج البحر لشدة عظمها وكثرة شيوعها .

(٢) « فأسكت القوم » قال جمهور أهل اللغة : سكت وأسكت لغتان بمعنى صمت ، وقال الأصمعي : سكت ، صمت وأسكت ، أطرق ، وإنما سكت القوم لأنهم لم يكونوا يحفظون هذا النوع من الفتنة ، وإنما حفظوا النوع الأول .

(٣) « لله أبوك » كلمة مدح تعتاد العرب الثناء بها ، فإن الإضافة إلى العظيم تشريف ، ولهذا يقال : بيت الله ، وناقة الله ، قال صاحب « التحرير » : فإذا وجد من الولد ما يحمد ، قيل له : لله أبوك حيث أتى بمثلك .

(٤) « تعرض الفتن » أى تلصق بعرض القلوب ، أى جانبها ، كما يلصق الحصير بجنب النائم ويؤثر فيه شدة التصاقها به .

(٥) « عوداً عوداً » قال النووى : هذان الحرفان مما اختلف فى ضبطه على ثلاثة أوجه : أظهرها وأشهرها عُوداً عُوداً . والثانى عَوداً عَوداً . والثالث : عَوذاً عَوذاً . ولم يذكر صاحب « التحرير » غير الأول . وأما القاضى عياض فذكر هذه الأوجه الثلاثة عن أئمتهم واختار الأول أيضاً .

(٦) « فأى قلب أشربها » أى دخلت فيه دخولاً تاماً وألزمها وحلت منه محل الشراب . ومنه قوله تعالى: ﴿ وأشربوا في قلوبهم العجل ﴾ [البقرة : ٩٣] ، أى حب العجل ، ومنه قولهم : ثوب مشرب بحمرة ، أى خالطته الحمرة مخالطة لا انفكاك لها .

(٧) « نكت فيه نكتة » أى نقط نقطة ، قال ابن دريد وغيره : كل نقطة فى شىء بخلاف لونه فهو نكت .

(٨) « أنكرها » ردّها . قاله النووى

(٩) « مثل الصفا » قال القاضى عياض – رحمه الله – : « ليس تشبيه بالصفا بياناً لبياضه ، لكن صفة أخرى لشدته على عقد الإيمان وسلامته من الخلل ، وأن الفتن لم تلصق به ولم تؤثر فيه . كالصفا ، وهو الحجر الأملس الذى لا يعلق به شىء .

والأرض ، والآخر أسود مرباداً (١) ، كالكوز مجخياً (٢) لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً إلا ما أشرب من هواه » .

قال حذيفة : وحدثته ؛ أن بينك وبينها (٣) باباً مغلقاً يوشك (٤) أن يكسر ، قال عمر : أكسراً (٥) لا أبا لك (٦) ! فلو أنه فتح لعله كان يعاد ، قلت : لا ، بل يكسر ، وحدثته ؛ أن ذلك الباب رجل يُقتل أو يموت ، حديثاً ليس بالأغاليط (٧) .

ومن ثمّ قال النبي ﷺ : « إنه ليغان على قلبي وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة » (٨) .

---

(١) « مرباداً » قال الإمام النووي – رحمه الله – كذا هو في أصول روايتنا ، وأصول بلادنا ، وهو منصوب على الحال ، وذكر القاضي عياض خلافاً في ضبطه وإن منهم من ضبطه كما ذكرنا ، ومنهم من رواه مربئدّ ، قال القاضي : وهذه رواية أكثر شيوخنا ، وأصله أن لا يهمز ، ويكون مربدّ مثل مسودّ ومحمرّ ، وكذا ذكره أبو عبيد الهروي ، وصححه بعض شيوخنا عن أبي مروان بن سرّاج لأنه من اربدّ ، إلا على لغة من قال : احمأرّ ، بهمزة بعد ميم لالتقاء السّاكنين . فيقال : اربأد ومربئد . والدال مشددة على القولين ، وسيأتي تفسيره .

(٢) « مجخياً » معناه مائلاً . كذا قاله الهروي وغيره ، وفسره الراوي في الكتاب بقوله : منكوساً ، وهو قريب من معنى المائل ، قال القاضي عياض : قال لي ابن سِرّاج : ليس قوله كالكوز مجخيًا تشبيهاً لما تقدم من سواده بل هو وصف آخر من أوصافه ، بأنه قلب ونكس حتى لا يعلق به خير ولا حكمة ، ومثله بالكوز المجخيّ ، وبينّه بقوله : لا يعرف معروفاً ولا ينكَر منكراً .

(٣) « إن بينك وبينها » معناه : أن تلك الفتن لا يخرج شيء منها في حياتك .

(٤) « يوشك » أي يقرب .

(٥) « أكسراً » أي : أيكسر كسراً . فإن المكسور لا يمكن إعادته بخلاف المفتوح . ولأن الكسر لا يكون غالباً إلا عن إكراه وغلبة وخلاف عادة .

(٦) « لا أبا لك » قال صاحب « التحرير » : هذه كلمة تذكرها العرب للحث على الشيء . ومعناها إن الإنسان إذا كان له أب وحزبه أمر ووقع في شدة ، عاونه أبوه ورفع عنه بعض الكَلّ ، فلا يحتاج من الجد والاهتمام إلى ما يحتاج إليه حالة الانفراد وعدم الأب المعاون ، فإذا قيل : لا أبا لك ، فمعناه : جدّ في هذا الأمر وشمرّ وتأهبَ تأهبَ من ليس له معاون . والله أعلم .

(٧) « ليس بالأغاليط » جمع أغلوطة وهي التي يغالط بها . فمعناه : حدثته حديثاً صدقاً محققاً ، ليس هو من صحف الكتابيين ، ولا من اجتهاد ذي الرأي ، بل من حديث النبي ﷺ . والحاصل أن الحائل بين الفتن والإسلام وعمر رضي الله عنه وهو الباب ، فما دام حيّاً لا تدخل الفتن ، فإذا مات دخلت الفتن ، وكذا كان والله أعلم .

(٨) أخرجه مسلم (مع النووي ١٧ / ٢٣) .

فالاستغفار سبب لإزالة ما قد تعلق بالقلب من سواد وما قد ران عليه من ذنوب ومعاصٍ .

● **ومن فوائده : أنه يجلب محبة الرب - سبحانه وتعالى - للعبد :** وكفى بمحبة الله نعمة ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ [البقرة : ٢٢٢] .

ثالثاً : القيام بحقوق الزوج :

ولعل من أهم ما يبين لنا عظم حق الزوج ، وعلو قدره ، وأن القيام بحقه نجاة للمرأة من عذاب النار ؛ ما رُوِيَ أن أسماء بنت يزيد بن السكن رضي الله عنها أتت النبي ﷺ فقالت : إني رسول مَنْ ورائي من جماعة نساء المسلمين كلهن يقلن بقولي ، وعلى مثل رأيي : إن الله بعثك إلى الرجال والنساء ، فآمنا بك واتبعناك ، ونحن معشر النساء مقصورات مخدَّرات ، قواعد بيوت ، وإن الرجال فُضِّلوا علينا بالجماعات وشهود الجنائز والجهاد ، وإذا خرجوا للجهاد حفظنا لهم أموالهم ، وربينا أولادهم ، أفنشاركهم في الأجر يا رسول الله ؟ فالتفت رسول الله ﷺ بوجهه إلى أصحابه فقال : « **هل سمعتم مقالة امرأة أحسن سؤالاً عن دينها من هذه ؟** » .

فقالوا : بلى يارسول الله . فقال رسول الله ﷺ : « **انصرفي يا أسماء وأعلمي مَنْ وراءك من النساء أن حُسن تبعُّل إحداكن لزوجها ، وطلبها لمرضاته ، واتباعها لموافقته ، يعدل كل ما ذكرت للرجال** »(١) .

فلتتأمل المرأة المسلمة القانتة لربها ولزوجها قوله ﷺ : « **إن حُسن تبعل**

---

(١) رواه البزار والطبراني وضعفه المنذرى فى « الترغيب والترهيب » كتاب النكاح وما يتعلق به ، باب ترغيب الزوج فى الوفاء بحق زوجته ، وحسن عشرتها ، ولكن يشهد له أحاديث فى صحيحه فى معناه .

إحداكن لزوجها » يعني أنها تقوم بحقوق زوجها على سبيل الإحسان وليس على سبيل الوجوب فقط .

« وطلبها لمرضاته » : يعني أنها لا تطيعه في كل ما يأمرها به في طاعة الله فحسب ؛ بل إنها تطلب مرضاته فتبحث بحثاً حثيثاً عن كل ما يرضيه من القول والعمل .

« واتباعها لموافقته » : يعنى أنها تقدم رضاه على رضاها ، وهواه على هواها وما يحب على ما تحب هي ، لأنها تابعة له في ذلك .

وقالت عائشة رضي الله عنها : « يا معشر النساء لو تعلمن بحق أزواجكن عليكن لجعلت المرأة منكن تمسح الغبار عن قدمي زوجها بخد وجهها »

ولو أن كل امرأة مسلمة تنظر إلى حقوق زوجها على أنها عبادات تتقرب بها إلى الله ، لأحسنت القيام بهذه الحقوق ، ولرفرفت السعادة الزوجية فى بيتها ، فهي تصبر وتبذل وتضحي وتعطي وتحسن ابتغاء مرضاة الله تعالى .

ولعل من أهم حقوق الزوج على زوجته :

[١] الطاعة الواجبة في غير معصية :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا صلت المرأة خمسها وصامت شهرها ، وحصَّنت فرجها ، وأطاعت ربها ، قيل لها ادخلي الجنة من أي أبواب الجنة شئت »[(١)] .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً : « اثنان لا تجاوز صلاتهما رؤوسهما : عبد أبق من مواليه حتى يرجع إليهم ، وامرأة عصت زوجها حتى ترجع »[(٢)] .

---

(١) رواه ابن حبان فى صحيحه ، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (١/ ٢٤٠) .
(٢) أخرجه الحاكم ، وحسنه الألبانى فى « الصحيحة رقم (٢٨٨) .

[٢] أن يلي تأديبها - بشروطه - إذا كانت ناشزاً :

قال تعالى : ﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا (٣٤) ﴾ [النساء : ٣٤] .

فإن ظهر من الزوجة علامات وبوادر الترفع والعصيان والتمرد ، فليعظها ولينصحها وليوصيها بتقوى الله ، فإن لم تنزجر هجرها في المضجع ، فإن لم تنزجر ضربها ضرب التأديب لا ضرب التسلط والتعجيز ، فإن انزجرت وهداها الله تعالى فلا يظلمها ولا يجور عليها .

[٣] المتابعة في السكن :

فكما فرض الله سبحانه وتعالى على الزوج سكنى الزوجة ، أوجب عليها بالمقابل متابعة زوجها في السكن في الإقامة معه في المنزل الذى يسكنه ، ويعدُّه من أجلها ، وألا تخالف في ذلك إلى غير مسكن الزوج . وفي هذا يقول تعالى : ﴿ أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ ﴾ [الطلاق : ٦] .

[٤] ألا تصوم نفلاً إلا بإذنه :

قال النووى - رحمه الله - : « وسبب هذا التحريم أن للزوج حق الاستمتاع بها في كل وقت ، وحقه واجب على الفور فلا يفوته بالتطوع ، ولا بواجب على التراخى »(١) .

وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يحل للمرأة أن تصوم وزوجها شاهد إلا بإذنه »(٢) .

---

(١) نقله عنه الحافظ فى الفتح (٩/ ٢٩٦) .

(٢) رواه البخارى والترمذى وغيرهما .

[٥] أن لا تأذن لأحد في بيته إلا بإذنه :

عن عمرو بن الأحوص رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول في حجة الوداع : « ... ألا إن لكم على نسائكم حقاً ، ولنسائكم عليكم حقاً ، فحقكم عليهن أن لا يوطئن فُرُشَكم من تكرهون ، ولا يأذَنَّ في بيوتكم لمن تكرهون »[١] .

قال النووي رحمه الله :« والمختار أن معناه ، أن لا يأذَنَّ لأحد تكرهونه في دخول بيوتكم والجلوس في منازلكم سواء كان المأذون له رجلاً أجنبياً أو امرأة ، أو أحداً من محارم الزوجة ، فالنهي يتناول جميع ذلك »[٢] .

[٦] أن لا تكلم-وهي في بيتها-أحداً من غير محارمها إلا بإذنه :

عن عليّ بن أبى طالب رضي الله عنه قال : نُهيٌ أن تكلَّم النساء - يعني في بيوتهن- إلا بإذن أزواجهن .

[٧] أن لا تخرج من بيته بغير إذنه :

قال ابن قدامة : « وللزوج منعها من الخروج من منزله إلى ما لها منه بد ، سواء أرادت زيارة والديها أو عيادتهما أو حضور جنازة أحدهما » .

قال أحمد في امرأة لها زوج وأم مريضة : « طاعة زوجها أوجب عليها من أمها إلا أن يأذن لها » .

[٨] أن تحفظ ماله :

لقوله ﷺ في حديث البخاري : « ... والمرأة راعية في بيت زوجها ، ومسئولة عن رعيتها » . فتحافظ على مال زوجها ، فلا تسرف ولا تبذر ولا

---

(١) رواه الترمذى وقال : حسن صحيح ، وحسنه الألبانى فى صحيح سنن الترمذى (١١٧٩) .
(٢) صحيح مسلم بشرح النووى (٨ / ١٨٤) .

ترهقه ، ولا تبدد أمواله في الكماليات التي يمكن الاستغناء عنها بسهولة .

[٩] التحلي بالقناعة ولا تطالبه بما وراء الحاجة :

فترهقه من أمره عسراً ، بل ترضى بما قسم الله لها من الخير . لذا يجب على الزوجة أن تقدر طاقة زوجها المالية وتقتصد في ماله فلا تهدره بطراً وبغير حق ، وعليها أن تتأسى بأمهات المؤمنين رضي الله عنهن ، فقد كانت حياتهن كفافاً ، وربما خلت بيوتهن من الطعام .

[١٠] دوام الشكر له :

على ما يجلب لها من طعام وشراب وثياب وغير ذلك مما هو في قدرته ، وتدعوا له بالعوض والإخلاف ، ولا تكفر نعمته عليها .

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « لا ينظر الله إلى امرأة لا تشكر لزوجها ، وهي لا تستغني عنه » [١] .

[١١] خدمته ، وتدبير المنزل ، وتهيئة أسباب المعيشة به :

عن أنس رضي الله عنه قال : كان أصحاب رسول الله ﷺ إذا زفوا امرأة إلى زوجها يأمرونها بخدمة الزوج ورعاية حقه ، فلتتقن كل زوجة شئون بيتها من نظافة وطبخ وتنظيم الأثاث وترتيبه ، فإذن ذلك يسعد الزوج ويريحه .

[١٢] أن تبرَّ أهله من والدَيْن وأخوات :

فإن إكرامهم إكرام لزوجها ووفاءٌ له وإحسانٌ إليه ، لأنه مما يفرحه ويؤنسه ، ويقوي رابطة الزوجية ؛ وآصرة الرحمة والمودة بينهما .

وفي إحسانها لوالديه – خاصة – شكر منها لهما على ما أنعم الله عليها من ولدهما الذي تسببا في وجوده من العدم ورَبياه ، فأصبح زوجاً لها ، فضلاً

---

(١) رواه النسائي والبزار ، وصححه الألباني في « الصحيحة » رقم (٢٨٩) .

أن ذلك من الأخلاق الإسلامية الأصيلة .

[١٣] إرضاع الأطفال وحضانتهم :

رُوي أن عمر بن عبد الله قال لامراة ترضع ابناً لها : « لا يكون من رضاعك لولدك كرضاع البهيمة ولدها قد عطفت عليه من الرحمة بالرحم ، ولكن أرضعيه تتوخين ابتغاء ثواب الله ، وأن يحيا برضاعك خَلْقٌ عسى أن يوحِّد الله ويعبده » .

إن للطفل حقاً ثابتاً على أبويه في الرعاية والعطف والتربية ، ومن هنا توجه الخطاب القرآني إلى كل والدة سواء كانت مزوجة أو مطلقة ، يستحثها ويندبها إلى الإهتمام برضاعة طفلها ، فقال جل وعلا :﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حولَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ ﴾ [البقرة : ٢٣٣] .

فهذا حق للزوج على زوجته ، لذا فإننا نوصي الزوجة المؤمنة ، والأم الرءوم أن تبتغي بذلك ثواب الله ، عسى الله تعالى أن يجزيها عن ذلك الثواب العظيم ، حتى إن كانت مطلقة .

[١٤] إحسان تربية الأولاد في صبر وحلم ورحمة :

فلا تغضب على أولادها أمام زوجها ، ولا ترفع صوتها عالياً في مخاطبة أولادها أو زجرهم ، حتى يُسمع خارج المنزل ، ولا تدعو عليهم ، ولا تسبهم أو تضربهم بدون سبب ، فإن ذلك قد يؤذيه ، ولربما استجاب الله تعالى دعاءها عليهم ، فيكون مصابهما بذلك عظيماً .

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « **لا تدعوا على أنفسكم ، ولا تدعوا على أولادكم ، ولا تدعوا على خدمكم ، ولا تدعوا على أموالكم ، لا توافقوا من الله ساعة يُسأل فيها عطاء فيستجيب لكم** » [١] .

---

(١) رواه مسلم وغيره .

ومن آداب المرأة المسلمة أن تحسن القيام على أولاد زوجها من امرأة أخرى ، كأنهم أولادها ، فإن الزوجة الصالحة عون لزوجها على مصاعب الحياة وأعباء المعيشة .

[١٥] حفظه في دينه وعرضه :

وذلك ببعدها عن المعاصي من تبرج واختلاط بالرجال الأجانب ، أو بالتعرض لهم في البيت أو خارجه أو في شرفات المنزل أو على الباب ، أو في الطريق والمحلات التجارية ، لذا فهي لا تبدي زينتها إلا لزوجها ، ولذوي محارمها على التأبيد مع أمن الفتنة ، ولا تخلو بأجنبي ، ولو كان شقيق زوجها ، ولا تأذن لمن لا يرضى الزوج دخوله عليها .

وهي حافظة لزوجها في غيابه : من عرضٍ فلا تزني ، ومن سرٍ فلا تفشي ، ومن سُمعة فلا تجعلها مضغة في الأفواه .

[١٦] حفظ حواسه وشعوره، وأن تتحرى ما يرضيه فتأتيه، وما يؤذيه فتجتنبه :

فإن ذلك الخُلق من أعمدة السعادة الزوجية في البيت المسلم ، وينبغي لأبوي المرأة خصوصاً الأم أن تعرِّفها حق الزوج ، وتبالغ في وصيتها .

أوصى عبد الله بن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه ابنته فقال :

« إياك والغيرة ، فإنها مفتاح الطلاق ، وإياك وكثرة العتب ، فإنه يورث البغضاء ، وعليك بالكحل فأنه أزين الزينة ، وأطيب الطيب الماء »[١] .

---

(١) راجع عودة الحجاب « الجزء الثاني » وأحكام النساء لابن الجوزي ، نظرات في الأسرة المسلمة لمحمد الصبا ، وإحياء علوم الدين للغزالي ، وعشرة النساء للنسائي وآداب الزفاف للألباني – رحمه الله – .

[١٧] لا تعص الله تعالى فيه إن تزوج عليها :

إن قضية تعدد الزوجات تشكل عند أغلب النساء - للأسف- قضية رعب وقلق وخوف ، ساهم فى غرس ذلك فى نفوس النساء بغض المجتمع ورفضه - للأسف - لهذه الشعيرة ، فضلاً عن نشاط وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية التى تشكل فكر الناس الآن - إن هم لم يحتاطوا لأنفسهم ولدينهم - في تأصيل البغض لشعيرة التعدد والخوف منها .

إن من الأمور المُسَلَّم بها أن تعدد الزوجات شعيرة ماضية إلى يوم القيامة ، يجب على المسلمة استيعابها وحسن استقبالها ، لأن الذى شرعها هو الله تعالى ، ولا تستمع إلى أقول المغرضين والحاقدين الجاهلين - حتى وإن تزيوا بزى العلم والاستقامة الظاهرية - ولتجعل دين الله عندها أعزَّ عليها من كل شىء ومن كل إنسان .

فيا كل مسلمة ترجو الله والدار الآخرة حقيقة :

لا تستجيبى إلى أصحاب الهوى ، ولا تخذلى جهود الدعاة فى هذه المعركة الفاصلة بين الإسلام وأعدائه الذين يريدون أن يفسدوا على المسلمة دينها فى كل طاعة ، وفى كل شعيره إسلامية تتعلق بالنساء ، ومنها قضية تعدد الزوجات .

والنبى ﷺ قال لعائشة رضي الله عنها : « **أجرك على قدر نَصَبك** » لذلك فإن المسلمة لو وافقت وساعدت زوجها على التعدد ، أو على الأقل لا تعاديه ولا تقف مع أهلها أو أترابها من النساء فى خندق ضد زوجها ، وكأنها تحارب اليهودية العالمية ، أو الصليبية الحاقدة - لو وافقت أن يتزوج زوجها بأخت لها فى الله - يكون هذا العمل من أجَّل أعمالها يوم القيامة ، والمرء لا يدرى أى عمل يُدخله الجنة .

قال ﷺ : « بينما رجل يمشي بطريق وجد غصن شوك على الطريق فأخرَّه فشكر الله له فغفر له » [(١)] ، فهذا الرجل غفر الله تعالى له لعمل هين سهل ربما لم يستحضر له نية قبله ، ويكون هذا العمل عند الله تعالى أفضل من صلاة أو صيام أو تلاوة للقرآن .

وقال ﷺ أيضاً : « بينما كلب يُطيف بركيَّة كاد يقتله العطش إذ رآته بغي من بغايا بنى إسرائيل فنزعت مُوقها ، فاستقت له فشكر الله لها فغُفِر لها » [(٢)] .

فسبحانه وتعالى غفر لها بسبب سقيا كلب مع أنها امرأة زانية نشرت الفساد في المجتمع ، وربما كانت سبباً فى فساد أسر كثيرة ، وضياع شباب وفتيات ، فما هو هذا العمل وما قيمته ، وما حجمه ليغفر الله لها بسببه ؟! .

فلعل المسلمة العاقلة عندما تنظر بميزان الإيمان والرحمة إلى أختها البائسة سواء كانت عانس أو مطلقة أو أرمل ، يكون ذلك من أفضل أعمالها عند الله تعالى إذا تطايرت الصحف يوم القيامة ، ﴿ يَوْمَ لا يَنفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ (٨٨) إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (٨٩) ﴾ [الشعراء : ٨٨ ، ٨٩] .

فاتقِ الله تعالى أيتها المسلمة فى زوجك ، وفيمن يتزوجها ، وفى هذه الشعيرة العظيمة [(٣)] .

ويقول الدكتور / محمد بن لطفي الصباغ موجهاً بعض الوصايا للزوجة :

[١] التزمن بأحكام الشرع ، وتقوى الله في معاملة زوجك ، ومن يتصل به

---

(١) رواه مسلم .

(٢) صحيح الجامع (٢٨٣٦) ، والصحيحة (٣٠) .

(٣) للمؤلف رسالتان فى موضوع التعدد فلتراجعا لأهميتهما ، « موقف المرأة الصالحة من تعدد الزوجات » ، « الرسائل التامات فى تعدد الزوجات » .



من الناس ، فذلك يشمل الخير كله ، ويحقق السعادة الكاملة .

[٢] احرصي يا عزيزتي على أن يجد زوجك بيتك روضة غنّاء ، في نظافته وترتيبه، وتذكري أيتها الأخت أن اليوم الذي يقضيه الرجل مملوء بمنغصات العمل ، وبما يثير الضيق والتبرم ، فاحذري أن يجد عندك ما يسوءه من أوساخ ، أو بعثرةٍ للأغراض والملابس ، أو روائح كريهة ، والنظافة من الإيمان بل هي شطر الإيمان .

[٣] عليك بتنظيم وقتك ، فالتنظيم دعامة الحياة السعيدة .

[٤] احرصي على ما يرضيه في مطعمه ، وعلى ما يبرز نظافته وأناقته في ملبسه .

[٥] قابليه في كل حين بالابتسامة العذبة ولا سيما عندما يعود من عمله متعباً مرهقاً .

[٦] آثري رضاه على رضاك ، وهواه على هواك .

[٧] أطيعيه فيما لا معصية فيه ، فالطاعة بالمعروف واجب شرعي على الزوجة ، جعل الله ثوابه الجنة .

[٨] ينبغي أن تُشعري زوجك أنه لا فريق بينك وبينه من الناحية المادية ، وإياك أن تظهري الطمع في ماله ، واحرصي على أن تتعففي إن أعطاك .

[٩] قرري منذ الخطوة الأولى في طريق الزواج الموفق السعيد أن تكوني عوناً له على الأحداث والأزمات ، وأن تمديه بالرأي والصبر وحُسن التدبير .

[١٠] احترمي زوجك ، واحترمي أهله من أعماق قلبك بصدق وحماسة وإخلاص .

[١١] احرصي على الصدق معه ومع غيره ، فالصدق يهدي إلى البر ، والبر يهدي إلى الجنة .

[١٢] لا تزهدي أيتها الأخت الكريمة بالكلمة الحلوة تقولينها لزوجك ، فما أعظم سحر الكلمة الحلوة ، لا سيما عندما يشعر الزوج أنها منبعثة بصدق من قلب محب .

[١٣] تزيني له وأشعريه باهتمامك الكبير به (١) .

رابعاً : حفظ اللسان :

فاللسان نعمة من نعم الله عز وجل العظيمة على عباده ، فبه يتحدث الإنسان ويُعبِّر عما يريد ، فيدافع عن نفسه ، ويتكلم ويبيع ويشتري ، وهكذا . ومن الكفر بهذه النعمة تسخيرها في معصية الله تعالى . وشكر الله على هذه النعمة ، إنما هو بتسخيرها في محاب الله ومراضيه . فاللسان على ذلك يذكر به المسلم ربه جل وعلا ، وبه يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، وبه ينصح ويدعو إلى الله عز وجل ، وبه يتضرع إلى ربه ويدعوه ، وبه يتلو القرآن ويقرأ كتب العلم النافع وغير ذلك مما يحبه الله ويرضاه من عبده .

ولذلك فإننا نحذر المسلمة من أن يزلّ لسانها فتزل به في نار جهنم والعياذ بالله ، لذلك فإننا نبين لها هنا خطره ثم أهم آفاته حتى تحذرها ، ومنها اللعن الوارد في أحاديث الباب الأول ، والذي استحقت المرأة به دخول النار .

• خطر اللسان وفضل الصمت :

أخرج أبو يعلى في مسنده عن أنس قال : لقى رسول الله ﷺ أبا ذر فقال : « يا أبا ذر : ألا أدلك على خصلتين هما أخف على الظهر وأثقل في الميزان من غيرهما » ، قال : بلى يا رسول الله . قال : « عليك بحُسن الخُلق ،

---

(١) وصايا للزوجين للدكتور / محمد بن لطفى الصباغ ، باختصار وتصرف ، ولمزيد من الفائدة فلتقرأ المسلمة للمؤلف كتاب « هذه هى زوجتى » ورسالة « أشكو إليك زوجتى » .

وطول الصمت ، فو الذي نفسي بيده ما عمل الخلائق بمثلهما »[١] .

وأخرج الطبراني وغيره عن شقيق قال : لبّى عبد الله رضي الله عنه على الصفا ، ثم قال : يا لسان قل خيراً تغنم ، واسكت تسلم من قبل أن تندم ، قالوا : يا أبا عبد الرحمن ، هذا شيء أنت تقوله أم سمعته ؟ قال : لا ، بل سمعت رسول الله ﷺ يقول : « أكثر خطايا ابن آدم من لسانه »[٢] .

وعن عقبة بن عامر الجهني قال : قلت يا رسول الله ما النجاة ؟ ، قال : « أملك عليك لسانك ، وليسعك بيتك ، وابك على خطيئتك »[٣] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها يزل بها في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب »[٤] .



(١) الصحيحة (١٩٣٨) .
(٢) إسناده جيد « الصحيحة » (٥٣٤) .
(٣) أخرجه ابن المبارك فى الزهد وأحمد ، والترمذى ، وقال : حديث حسن « الصحيحة » (٩٨٠)
(٤) رواه أحمد بإسناد صحيح « الصحيحة » (٥٤٠) .

[فصل]

أهم آفات اللسان [١]

[١] الكلام فيما لا يعني :

وللنساء باعٌ في هذه الآفة ، فالمرأة غالباً ما تسأل عن أي شيء ، وبدون سبب ، أكثر من الفضول والرغبة في معرفة ما يعنيها ، ولذلك حذر النبي ﷺ من ذلك فقال :« من حُسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه » [٢] .

قال مجاهد : سمعت ابن عباس رضي الله عنهما يقول : خمسٌ لهُنَّ أحبُّ إليَّ من الدُّهمْ الموقوفة : لا تتكلم فيما لا يعنيك فإنه فضل ولا آمن عليك الوزر ، ولا تتكلم فيما يعنيك حتى تجد له موضعاً ، فإنه رُبَّ متكلمٍ في أمر يعنيه قد وضعه في غير موضعه فيَعْنَتُ ، ولا تمار حليماً ولا سفيهاً ، فإن الحليم يَقْليك ، والسفيه يؤذيك ، واذكر أخاك إذا غاب عنك بما تُحب أن يذكرك به ، وأعفه مما تحب أن يعفيك منه ، وعامل أخاك بما تحب أن يعاملك به ، واعمل عمل رجل يعلم أنه مجازى بالإحسان مأخوذ بالاحترام .

وقيل للقمان الحكيم : ما حكمتك ؟ قال : لا أسأل عمَّا كُفيت ، ولا أتكلف مالا يعنيني .

وفي علاج هذه الآفة يقول الإمام الغزالي - رحمه الله - :

« وعلاج ذلك كله ، أن يعلم أن الموت بين يديه ، وأنه مسئول عن كل كلمة ، وأن أنفاسه رأس ماله ، وأن لسانه شبكة يقدر على أن يقتنص بها الحور العين ، فبإهماله ذلك وتضييعه خسران مبين ، وهذا علاج من حيث العلم .

---

(١) راجع إحياء علوم الدين (جـ٣) ، والصمت لابن أبي الدنيا .

(٢) حديث صحيح : « صحيح ابن ماجه للألباني (٢ / ٣٦٠) » .

وأما من حيث العمل :فالعزلة ، أو أن يضع حصاة في فِيه ، وأن يلزم نفسه السكوت بها عن بعض ما يعنيه ، حتى يعتاد اللسان ترك ما لا يعنيه ، وضبط اللسان في هذا على غير المعتزل شديد جداً » .

[٢] فضول الكلام :

وهو مذموم أيضاً وهو يتناول الخوض فيما لا يعني ، والزيادة فيما يعني على قدر الحاجة .

قال عطاء بن أبي رباح :إنَّ من كان قبلكم كانوا يكرهون فضول الكلام، وكانوا يَعُدّون فضول الكلام ما عدا كتاب الله وسُنّة رسوله ﷺ ، أو أمراً بمعروف ، أو نهياً عن منكر ، أو أن تنطق بحاجتك في معيشتك التي لابد لك منها !! ... أتنكرون أن عليكم حافظين ، كراماً كاتبين ، عن اليمين وعن الشمال قعيد ، ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد ؟! ، أما يستحي أحدكم إذا نُشرت صحيفته ، التي أملاها صدر نهاره ،كان أكثر ما فيها ليس من أمر دينه ولا دنياه ؟! .

وعن بعض الصحابة ﷺ قال : إن الرجل ليكلمني بالكلام ، لجَوَابُهُ أشهى إليَّ من الماء البارد إلى الظمآن ، فأترك جوابه ، خيفة أن يكون مقولاً .

وقال ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : أُنذركم فضول كلامكم ، حسب امرئ من الكلام ما بلغ به حاجته .

وقال إبراهيم : يُهْلِكُ الناس خلتان : فضول المال ، وفضول الكلام .

[٣] الخوض في الباطل :

وهو الكلام في المعاصي ، كحكاية أحوال النساء ، ومجالس الخمر ، ومقامات الفساق ، وتنعم الأغنياء فكل ذلك حرام ، وأنواع الباطل لا يمكن حصرها ، لكثرتها وتفننها ، فلذلك لا مخلص منها إلا بالاقتصار على ما يعني

من مهمات الدين والدنيا .

وفي الحديث الصحيح : « إن الرجل ليتكلم بالكلمة في رضوان الله ، مايَظُن أن تبلغ به ما بلغت فيكتب الله له بها رضوانه إلى يوم القيامة ، وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما يظن أن تبلغ ما بلغت فيكتب الله عليه بها سخطه إلى يوم القيامة » [١] .

وقال سلمان: أكثر الناس ذنوباً يوم القيامة ، أكثرهم كلاماً في معصية الله.

[٤] المراء والجدال :

وقد ورد في ذمهما أحاديث منها قوله ﷺ : « من ترك المراء وهو مُحقٌ بُني له بيت في أعلى الجنة ، ومن ترك المراء وهو مبطل بُني له بيت في ربض الجنة » [٢] .

وقوله ﷺ : « ما ضل قوم بعد أن هداهم الله إلا أوتوا الجدل » [٣] .

وقال مالك بن أنس رضي الله عنهما : المراء يقسي القلوب ، ويورث الضغائن .

وقال لقمان عليه السلام لابنه : يا بني ، لا تجادل العلماء فيمقتوك .

وقال بلال بن سعد : إذا رأيت الرجل لجوجاً ممارياً معجباً برأيه ، فقد تمت خسارته .

وقال أبو الدرداء : كفى إثماً أن لا تزال ممارياً .

وحد المراء : هو كل اعتراض على كلام الغير ، بإظهار خلل فيه ، إما في اللفظ وإما في المعنى ، وإما في قصد المتكلم ، وترك المراء بترك الإنكار والاعتراض ، فكل كلام سمعته ، فإن كان حقاً فَصَدِّقْ به ، وإن كان باطلاً أو

---

(١) صحيح الجامع (١/٣٣٤) برقم (١٦١٩) وهو صحيح .
(٢) راجع صحيح الترغيب والترهيب للألباني (١/٦٠) .
(٣) حديث حسن : « صحيح الجامع » (٢/٩٨٤) برقم (٥٦٣٣) .

كاذباً ، ولم يكن متعلقاً بأمور الدين ، فاسكت عنه .

وأما المجادلة : فعبارة عن قصد إفحام الغير ، وتعجيزه ، وتنقيصه بالقدح في كلامه ، ونسبته إلى القصور ، والجهل فيه .

[٥] الخصومة :

فعن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « **إن أبغض الرجال إلى الله الألَدُّ الخَصِم** » (١) .

وقال بعضهم : إياك والخصومة فإنها تمحق الدِّين .

ولا يخفى ما في الخصومة بين المسلمين من الضغينة والكراهية والتنافر ، فضلاً عن قطع رابطة الأخوة في الله ، والتي هي من أقوى الروابط بين المسلمين، وكذلك الحرمان من طيب الكلام الذي هو من أسباب دخول الجنة.

قال تعالى : ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ [البقرة : ٨٣] .

وقال ابن عباس رضي الله عنهما : « لو قال لي فرعون خيراً لرددتُ عليه » .

وروى البخاري ومسلم وغيرهما عن النبي ﷺ أنه قال : « الكلمة الطيبة صدقة » .

ورويا أيضاً عنه ﷺ أنه قال : « **اتقوا النار ولو بشق تمرة ، فإن لم تجدوا فبكلمة طيبة** » .

وقال عمر رضي الله عنه : « البر شيء هيِّن ، وجه طليق ، وكلام ليِّن » .

[٦] الفحش وبذاءة اللسان :

فكم تكون صورة المسلمة مشوهة وممسوخة ، عندما تصلي لله تعالى مثلاً ، وهي بذيئة اللسان ، سيئة الخُلُق .

---

(١) رواه البخاري ومسلم وغيرهما .

روى أحمد عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال : « الظلم ظلمات يوم القيامة ، وإياكم والفحش ، فإن الله تعالى لا يحب الفحش ولا التفحش »(١) .

وقال ﷺ أيضاً : « ليس المؤمن بالطعَّان ، ولا اللَّعان ، ولا الفاحش ولا البذيء »(٢) .

وقال أحنف بن قيس : « ألا أخبركم بأدوَء الداء : اللسان البذيء والخلق الدفيء » .

[٧] السخرية والاستهزاء :

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ﴾ [الحجرات : ١١] .

ومعنى السخرية : الاستهانة والتحقير ، والتنبيه على العيوب والنقائص على وجه يضحك منه ، وقد يكون ذلك بالمحاكاة بالفعل والقول ، وقد يكون بالإشارة والإيماء .

قالت السيدة عائشة رضي الله عنها : حاكيت إنساناً ، فقال لي النبي ﷺ : « والله ما أحبُّ أني حاكيْتُ إنساناً ، وإن لي كذا وكذا »(٣) .

والمعنى : ما يسرني أني أتحدث بعيبه أو ما يسرني أن أحاكيه ، بأن أفعل مثل فعله ، أو أقول مثل قوله ، على وجه التنقيص .

ومن صور السخرية :

النظر بعين الاحتقار والاستهانة ، أو بالحركات أو بالكلام بإظهار العيوب

---

(١) قال الشيخ أحمد شاكر إسناده صحيح .

(٢) رواه أحمد وابن أبي شيبة في كتاب الإيمان ، والبخاري في الكتاب المفرد ، ورواه الترمذي ، وغيرهم ، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (جـ١ / ٥٧١ برقم ٣٢٠) .

(٣) رواه أبو داود والترمذي وقال : حديث حسن ، وصححه الألباني « صحيح سنن الترمذي » برقم (٢٠٣٣) (٣٠٦/٢) .

والنقائص ، وربما كان الذى تحتقر وتنظر إليه بعين الازدراء هو عند الله ذو مكانة عالية ، ففي الحديث : « رُبَّ أشعث أغبر ذي طِمْرَيْن لا يُؤْبَهُ له ، لو أقسم على الله لأبَرَّه »[١] .

[٨] إفشاء السر :

وهو مذموم لما فيه من الإيذاء والتهاون بحق الناس ، قال النبي ﷺ : « إذا حَدَّث الرجل الحديث ثم التفت ، فهي أمانة »[٢] .

قال ابن رسلان : لأن التفاته إعلام لمن يحدثه أنه يخاف أن يسمع حديثه أحد ، وأنه قد خصه بسره ، فكان الالتفات قائماً مقام : اكتم هذا عنى[٣] .

وقد ورد عن عمر بن عبد العزيز - رحمه الله - قوله : القلوب أوعية الأسرار ، والشفاه أقفالها ، والألسن مفاتيحها ، فليحفظ كل امرئ مفتاح سره.

وصدق قول الشاعر :

فلا يسمعن سري وسرك ثالثٌ   ألا كل سرٌ جاوز اثنين ضائعُ
وكيف يُشيع القلب سراً وفوقه   حجابٌ وما فوق الحجاب إلا ضالعُ

[٩] الوعد الكاذب :

ولعل الكثير يتهاون بالوعد ، لقرابة أو أخوة بينهم ، والأمر على عكس ذلك فإن تقوى الله تدفع المرء إلى الحرص على أن يكون صادق الوعد .

ولقد أثنى الله تعالى على نبيه إسماعيل عليه السلام فقال : ﴿ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ ﴾ [مريم : ٥٤] .

قيل : إنه وعد إنساناً في موضع ، فلم يرجع إليه ذلك الإنسان ، بل نسي ،

---

(١) رواه البخارى والنسائى .
(٢) رواه أبو داود والترمذى وغيرهم ، و حسنه الألبانى « الصحيحة » (١٠٨٩) .
(٣) عون المعبود (٢١٦/١٣) .

فبقي إسماعيل عليه السلام اثنين وعشرين يوماً في انتظاره .

ولما حضرت عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال : إنه كان قد خطب إليَّ ابنتي رجل من قريش ، وقد كان مني إليه شِبْهُ الوعد ، فوالله لا أَلْقى الله بثلث النفاق ، أُشهدكم أني قد زوجته ابنتي .

وفي الحديث الصحيح عن أبى هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **ثلاث من كُن فيه فهو منافق ، وإن صام وصلى وزعم أنه مُسلم : إذا حدَّث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا اؤتمن خان** » [١] .

[١٠] الكذب في القول واليمين :

وهو من قبائح الذنوب ، وفواحش العيوب .

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **لا يزال العبد يكذب ويتحرّى الكذب ، حتى يُكتب عند الله كذَّاباً** » [٢] .

وقال عليٌ رضي الله عنه : أعظم الخطايا عند الله اللسان الكذوب ، وشر الندامة ندامة يوم القيامة .

وقيل لخالد بن صبيح أَيُسمى الرجل كذاباً بكذبة واحدة ؟ .

قال : نعم ، قال بعض الشعراء :

عَوِّدْ لسانك قول الصدق تحظَ به ... إن اللسان لِما عودتَ معتاد

موكل يتقاضى ما سننت له ... في الخير والشر فانظر كيف يرتاد

[١١] الغيبَة :

قال الحسن رضي الله عنه : ذكر الغير ثلاثة : الغيبة ، والبهتان ، والإفك ، وكلّ في كتاب الله عز وجل .

---

(١) رواه البخارى ومسلم وغيرهما .

(٢) رواه البخارى وغيره .

فالغيبة : أن تقول ما فيه .

والبهتان : أن تقول ما ليس فيه .

والإفك : أن تقول ما بلغك عنه .

وقال : إن الغيبة لا تقتصر على اللسان ، فالتعريض به كالتصريح ، والفعل فيه كالقول والإشارة والإيماء والغمز واللّمز والكتابة والحركة ، وكل ما يفهم به المقصود فهو داخل في الغيبة وهو حرام .

قال رسول الله ﷺ : « أتدرون ما الغيبة ؟ » ، قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : « ذكرك أخاك بما يكره » ، قيل : أفرأيت إن كان في أخي ما أقول ؟ قال ﷺ : « إن كان فيه ما تقول فقد اغْتَبْتَه ، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهتَّه » [(١)] .

قال تعالى – محذراً ومشبهاً المغتاب – ﴿ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ﴾ [الحجرات : ١٢] .

والمستمع للغيبة شريك فيها ، ولا يتخلص من إثمها ، إلا أن ينكر بلسانه أو بقلبه وذلك أضعف الإيمان .

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « من ردَّ عن عرض أخيه ردَّ الله عن وجهه النار يوم القيامة » [(٢)] .

وقال بعضهم : أدركنا السلف ، وهم لا يرون العبادة في الصوم ، ولا في الصلاة ولكن في الكف عن أعراض الناس .

وقال أبو هريرة : « يُبْصر أحدكم القَذَى في عين أخيه ، ولا يُبصر الجِذْل في عين نفسه » [(٣)] .

---

(١) رواه مسلم(٨/٢١) ، والترمذى(٤/٣٢٩) .
(٢) رواه الترمذى وقال : حديث حسن ، وصححه الألبانى « صحيح سنن الترمذى »(٢/١٨١)
(٣) القذى : ما يتكون فى العين ، والجذل : أصل الشجرة وغيرها بعد ذهاب الفروع .

وسمع عليّ بن الحسن رضي الله عنهما رجلاً يغتاب آخر ، فقال له : إياك والغيبة فإنها إدام كلاب الناس .

وصدق من قال :

إذا رُمْت أن تحيا سليماً من الأذى ودينُك موفور وعرضك صيِّن
فلا ينطق منك اللسان بسَوْءة فكُلُّك سوءاتٌ وللناس ألسن
وعيناك إن أبدت إليك معايباً فقل يا عينُ للناس أعين

[١٢] النميمة :

النّمام : هو ناقل الحديث من قوم إلى قوم على جهة الإفساد والشر ، سواءٌ كان بعلمه أو بغير علمه .

قال تعالى في صفة النمَّام : ﴿ وَلا تُطِعْ كُلَّ حَلاَّفٍ مَّهِينٍ (١٠) هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ (١١) مَنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ (١٢) عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ (١٣) ﴾ [القلم : ١٠ - ١٢] .

﴿ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ ﴾ : يمشي بين الناس بما يفسد قلوبهم ، ويقطع صلتهم ومودتهم .

وقد نهى النبي ﷺ عن النميمة وذمَّ فاعليها فقال : « لا يدخل الجنة نمَّام »(١) .

وقال عن اثنين يعذبان في القبر : « وما يعذبان في كبير ، أمَّا أحدهما فكان يمشي بالنميمة ، وأمَّا الأخر فكان لا يستنزه من بوله »(٢) .

وحقيقة النميمة : إفشاء السر ، وهتك السِّتر عما يكره كشفه ، ومن هتك حرمة أخيه هتك الله حرمته .

---

(١) رواه مسلم (١/ ٧٠) ، وأحمد (٥/ ٣٩٦) .
(٢) متفق عليه .

قال الشافعي – رحمه الله – :

يا هاتكاً حـرمَ الرجـال وقـاطعـاً سُبُل المودة وعـشتَ غـيـر مُكَرَّم

لو كنت حـراً من سـلالة مـاجـدٍ مـا كنت هتّـاكـاً لحـرمـة مـسلم

مـن يَزْنِ يُزْنَ بـه ولـو بجـــداره إن كنت يا هذا لبـيـبـاً فـافـهـم

ومن نُقلت إليه النميمة فعليه ستة أمور :

١ ـ أن لا يصدق النمَّام ، لأن النمام فاسق .

٢ ـ يبغضه في الله ، فإنه بغيض عند الله .

٣ ـ ألا يظن بأخيه الغائب سوءاً .

٤ ـ ينهاه عن النميمة وينصح له ، ويُقَبِّح عليه فعله .

٥ ـ لا يحملَه ما حُكي له على التجسس والبحث .

٦ ـ لا يرضى لنفسه ما نهى النمَّام عنه ، ولا يحكي نميمته فيكون نمّاماً ومغتاباً ، فليتق الله ذوو الألسنة الحداد ، ولا ينطقوا إلا بما فيه الخير لخلق الله ، ويكفيهم في هذا قول النبي ﷺ : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ، فليقل خيراً أو ليصمت »(١) .

[١٣] اللعن :

ويكون إما لحيوان أو جماد أو إنسان ، وكل ذلك مذموم .

قال رسول الله ﷺ : « لا يكون المؤمن لعاناً »(٢) .

واللعن عبارة عن الطرد والإبعاد عن الله تعالى ، وذلك غير جائز إلاَّ على من اتصف بصفة تبعده عن الله عز وجل ، وهو الكفر والظلم .

---

(١) متفق عليه .

(٢) رواه الترمذي (١٦٦٢/٦)، و صححه الألباني – رحمه الله – في « صحيح سنن الترمذي » برقم (١٦٤٣) .

فعن عمران بن حصين رضي الله عنه قال : بينما رسول الله ﷺ على ناقة في بعض أسفاره ، وامرأة من الأنصار على ناقة فضجرت ، فلعنتها ، فسمع النبي ذلك فقال : « خُذوا ما عليها ودعوها ، فإنها ملعونة » . قال عمران : فكأني أراها الآن تمشي في الناس ، ما يعرض لها أحد [(١)] .

وعن أبى الدراء رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « إن اللعَّانين لا يكونون يوم القيامة شهداء ولا شفعاء » [(٢)] .



(١) رواه مسلم (٢٣/٨) ، وأحمد (٤٢٩/٤) وغيرهما .
(٢) رواه مسلم (٢٤/٨) ، وأبو داود (٢٥١/١٣) .

[فصل]
تذكرة

فيا أمة الله ... إن اللسان من نِعم الله العظيمة ، ولطائف صنعه الغريبة ، وإنه صغير جُرْمُه ، عظيم طاعته وجُرْمُه ، إذ لا يستبين الكفر والإيمان إلا بشهادة اللسان ، وهما غاية الطاعة والعصيان ، ومن أطلق عذبة اللسان وأهمله مرخي العنان ، وسلك به الشيطان كل ميدان ، ساقه إلى شفا جرف هارٍ إلى أن يضطره إلى البوار ، ولا يكبُّ الناس في النار على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم ، ولا ينجو من شر اللسان إلا من قيده بلجام الشرع ، فلا يطلقه إلا فيما ينفعه في الدنيا والآخرة ، ويكفه عن كل ما يخشى من غائلته في عاجله وآجله .

ففي حديث معاذ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قوله ﷺ : « **وهل يكب الناسَ في النار على وجوههم – أو قال على مناخرهم – إلا حصائدُ ألسنتهم** » (١) .

والمراد بحصائد الألسنة ، جزاء الكلام المحرم وعقوباته ، فإن الإنسان يزرع بقوله وعمله الحسنات والسيئات ، ثم يحصد يوم القيامة ما زرع ، فمن زرع خيراً من قول أو عمل حصد الكرامة ، ومن زرع شراً من قول أو عمل حصد الندامة .

عن الحسن البصرى قال : كانوا يقولون : إن لسان المؤمن وراء قلبه ، فإذا أراد أن يتكلم بشيء تدبره بقلبه ثم أمضاه ، وإنَّ لسان المنافق أمام قلبه ، فإذا همَّ بشيء أمضاه بلسانه ولم يتدبره بقلبه .

---

(١) رواه الترمذي وغيره وقال : هذا حديث حسن صحيح وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذى (٣٢٩/٢))

فيا أمة الله ... اتق الله ، واعلمي أنه قد قرب الرحيل وأنك موقوفة ومسؤولة ، فانظري بماذا يشتغل لسانك ؟ .

أحاديث أخرى وردت تبين للمرأة طريقها للجنة :

وأما الأسباب التي وردت في أحاديث أخرى ، تبين للمرأة المسلمة طريقها إلى الجنة ونيل رضا الله تعالى وثوابه فمنها :

عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال لي رسول الله ﷺ : « يا عائشة عليك بتقوى الله عز وجل ، والرفق ، فإن الرفق لم يكن في شيء قطُّ إلا زانه ، ولم يُنزع من شيء قط إلا شانه »(١) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا صلت المرأة خمسها ، وصامت شهرها ، وحصَّنت فرجها ، وأطاعت بعلها ، دخلت من أي أبواب الجنة شاءت »(٢) .

وعن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت : « دخلت امرأة معها ابنتان لها تسأل فلم تجد عندي شيئاً غير تمرة ، فأعطيتها إياها ، فقسَّمتْها بين ابنتيها ، ولم تأكل منها ، ثم قامت فخرجت ، فدخل رسول الله ﷺ علينا فأخبرته ، فقال : « من ابتُلي من هذه البنات بشيء كن له ستراً من النار »(٣) .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ لفاطمة رضي الله عنها : « ما يمنعك أن تسمعي ما أوصيك به : أن تقولي إذا أصبحت وإذا أمسيت :

---

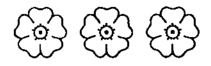
(١) أخرجه أحمد (٦/٥٨) ، وأبو داود (٢٤٧٨) ، وابن حبان (٥٥١) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٩٢٧) ، (١٣١٢/٢) .

(٢) أخرجه ابن حبان ، والطبراني وغيرهما ، وصححه الألباني بمجموع طرقه « صحيح الجامع » (٦٧٣) .

(٣) رواه البخاري (١٣٦/٢) ، ومسلم (١٧١/١٦) وغيرهما .

يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث ، أصلح لي شأنه كله ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين » (١) .

وروى الحاكم وأبو دواود وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **رحم الله رجلاً قام من الليل فصلى وأيقظ امرأته فصلت ، فإن أبت نضح في وجهها الماء ، ورحم الله امرأة قامت من الليل فصلت وأيقظت زوجها فصلى ، فإن أبى نضحت في وجهه الماء** » (٢) .



(١) أخرجه الحاكم وغيره وإسناده حسن ، (السلسلة الصحيحة ، للألباني - رحمه الله - ٢٤٥٧) .
(٢) صحيح الجامع (٣٤٩٤) (٦٠٧/١) .

[الباب السادس]

فوائد مهمة متعلقة بموضوع أحاديث الكتاب

الفائدة الأولى : حكم صوت المرأة :

هل يجوز للمرأة أن تتحدث مع الرجل الأجنبي سواء مباشرة أو عن طريق الهاتف وغيره ؟ .

يقول الشيخ ابن جبرين - حفظه الله - :

صوت المرأة عورة عند الرجال الأجانب على الصحيح ، ولذلك لا تسبح في الصلاة عندما ينوب الإمام شيء كما يسبح الرجال ، بل تقتصر على التصفيق ، ولا يجوز أن تتولى الأذان العام الذي يستدعي رفع الصوت ، وهكذا لا ترفع صوتها بالتلبية في الإحرام إلا بقدر ما تسمع رفيقتها .

لكن أجاز بعض العلماء مخاطبتها للرجال بقدر الحاجة ، كجواب سؤال ، حيث أن من نساء الصحابة ﷺ من روين الأحاديث وسمعها منهن عدد من الرجال ، ولكن ذلك بشرط البعد عن الريبة وبشرط الأمن من إثارة الشهوة لقوله تعالى : ﴿ فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾ [الأحزاب : ٣٢] فإن مرض الشهوة الزنا قد يتمكن في القلب عند ترقيق المرأة كلامها أو خوضها فيما يحدث بين الزوجين ونحو ذلك .

وعلى هذا فللمرأة أن تردَّ على التلفون بقدر الحاجة سواء كانت المرأة بدأت بالاتصال أو ردت على من اتصل بها هاتفياً ، حيث أنها في هذه الحالة

---

(١) روائع البيان فى تفسر آيات الأحكام (١٥٧١٢) .

مضطرة إلى ذلك ، ويحصل به فائدة لكلا الطرفين مع تباعد الأماكن والتحفظ عن الخوض فيما لا يعني ، أو ما يسبب إثارة الشهوة من أحد الجنسين ، مع أن الأولى ترك ذلك إلا عند الضرورة الشديدة [١] .

ويقول الشيخ الصابوني [٢] حفظه الله :

ينبغي على الرجال أن يمنعوا النساء من كل ما يؤدي إلى الفتنة والإغراء ، كخروجهن بملابس ضيقة ، أو ذات ألوان جذابة ، ورفع أصواتهن وتعطرهن إذا خرجن للأسواق ، وتبخترهن في المشية وتكسرهن في الكلام ، وقد قال تعالى : ﴿ فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ ﴾ [الأحزاب : ٣٢] ، وأمثال ذلك مما لا يتفق مع الآداب الإسلامية ولا يليق بشهامة الرجل المسلم ، فإن الفساد ما انتشر إلا بتهاون الرجال ، والتحلل ما ظهر إلا بسبب فقدان « الغيرة » والحمية على العرض والشرف ، والذي لا يغار على أهله لا يكون مسلماً [٣] ، وقد سماه الرسول ﷺ ديوثاً فقال : « ثلاثة لا يدخلون الجنة ولا يجدون ريحها ، الرَّجُلَةُ من النساء « أي المتشبهة بالرجال » ومدمن الخمر ، والديوث » قالوا : من هو الديوث يا رسول الله ؟ قال « الذي يقرُّ الخبث في أهله » . وفي رواية : « الذي لا يغار على أهله » [٤] .

الفائدة الثانية : حضور المرأة مجالس الخير :

وهذا ظاهر من حرصها على الحضور لصلاة العيد مع النبي ﷺ ، والأمر لا يقتصر على ذلك فحسب ، بل ينبغي للمرأة أن تحرص على حضور مجالس

---

(١) فتاوى إسلامية (٢٠٥/٣) .
(٢) روائع البيان فى تفسير آيات الأحكام (١٦٧/٢) .
(٣) أي : لا يلتزم بالإسلام إلتزاماً حقيقياً ، وإنما التزام من اتبع هواه .
(٤) قال الألباني – رحمه الله – : أخرجه الحاكم والبيهقى ، وأحمد . وقال الحاكم : صحيح الإسناد ووافقه الذهبى ، وهو كما قالا إن شاء الله تعالى « حجاب المرأة المسلمة فى الكتاب والسُّنة » (ص٦٧) .

العلم والخير لإزالة الجهل عن نفسها ، ولتتعلم أحكام دينها ، شريطة ألا يترتب على خروجها فتنة أو ترك واجب .

وروى البخاري عن حفصة رضي الله عنها قالت : كنا نمنع عواتقنا أن يخرجن في العيدين ، فقدمت امرأة فنزلت قصر بني خَلَف فحدَّثت عن أختها ، وكان زوج أختها غزا مع النبي ﷺ ثِنْتي عشرة ، وكانت أختي معه في سِتٍّ ، قالت : كنا نداوي الكَلْمى ونقوم على المرضى ، فسألت أختي النبي ﷺ : أعلى إحدانا بأس إذا لم يكن لها جلباب أن لا تخرج ، قال : « **لِتُلْبِسْها صاحبتها من جلبابها ، ولتشهد الخير ودعوة المسلمين** » .

قال ابن حجر رحمه الله : وفيه أن الحائض لا تهجر ذكر الله ولا مواطن الخير كمجلس العلم والذكر سوى المساجد (١) .

فلتتأمل المرأة الصالحة كيف أن النبي ﷺ حضَّ حتى الحُيَّض على حضور دعوة الخير ، واجتماع المسلمين والمسلمات ، وكذلك يظهر حرص المرأة المسلمة على حضور مجالس العلم ، كما في حديث أبي سعيد الخدري الذي سيأتي .

ولعل من أهم ما تستفيده المرأة المسلمة من حضورها مجالس الخير :

١ ـ إزالة الجهل عن نفسها بالعلم .

٢ ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

٣ ـ طلب النصيحة من أهلها ، أو نصح الأخريات .

٤ ـ التقاء الأنفس المؤمنة على الخير .

---

(١) فتح الباري (٥٠٤/١) .

٥ - تقوية رابطة الأخوة في الله بين النساء ، لا سيما في وقت تكاد تختفي فيه هذه الرابطة .

٦ - حل مشكل المسلمات فيما بينهن ، والسؤال عن الغائبة وعيادة المريضة وغير ذلك من حقوق المسلمة على الأخرى ، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه .

٧ - إنفاق الوقت فيما ينفع المسلمة في دينها ودنياها .

٨ - تقوى الله تعالى بتعلم المسلمة الحلال والحرام في دينها .

٩ - زيادة الإيمان ، فإن حضور مثل هذه المجالس من أهم أسباب زيادته ، إذا خلصت النوايا لله تعالى .

الفائدة الثالثة : أسئلة النساء واهتماماتهن :

البون شاع ولا شك بين أسئلة النساء واهتماماتهن في الماضي وأسئلة النساء واهتماماتهن في الحاضر .

فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قالت النساء للنبي ﷺ : غَلَبنا عليك الرجال ، فاجعل لنا يوماً من نفسك ، فوعدهن يوماً لَقِيَهُنَّ فيه فوعظهن وأمرهن ، فكان فيما قال لهن : « **ما منكن امرأة تقدم ثلاثة من ولدها إلا كان لها حجاباً من النار** » ، قالت امرأة : واثنين ؟ **فقال** ﷺ : « واثنين » .

قال ابن حجر - رحمه الله - : وفي الحديث ما كان عليه نساء الصحابة رضي الله عنهن من الحرص على تعلم أمور الدين [(١)] .

فلتتدبر المؤمنة ما الذي كان يَهم المرأة المسلمة ، وكيف أنها كانت حريصة على أن تتعلم وتسأل وتزيل الجهالة عن نفسها .

---

(١) فتح الباري (٢٣٦/١) .

وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : قالت فاطمة بنت أبي حُبَيْش لرسول الله ﷺ : يارسول الله ، إني لا أطهُرُ ، أفأدع الصلاة ؟ . فقال رسول الله ﷺ : « **إنما ذلك عِرْق وليس بالحيضة ، فإذا أقبلت الحيضة فاتركي الصلاة ، فإذا ذهب قدْرها فاغسلي عنك الدم وصلّي** » .

قال ابن حجر رحمه الله : وفيه « يعنى الحديث » جواز استفتاء المرأة بنفسها ومشافهتها للرجل فيما يتعلق بأحوال النساء وجواز سماع صوتها للحاجة [1] .

وعن أسماء بنت أبى بكر رضي الله عنهم أنها قالت : سألت امرأة رسول الله ﷺ فقالت : يارسول الله أرأيت إحدانا إذا أصاب ثوبها الدم من الحيضة كيف تصنع ؟ ، فقال رسول الله ﷺ : « **إذا أصاب ثوب إحداكن الدم من الحيضة فلْتقرُصْهُ [2] ثم لتَنْضَحْهُ بماء ثم لتصلي فيه** » .

قال ابن حجر رحمه الله : وفيه من الفوائد ما في الذي قبله : وجواز سؤال المرأة عما يستحي من ذكره ، والإفصاح بذكر ما يستقذر للضرورة [3] .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : قلت يا رسول الله ، على النساء جهاد ؟ ، قال : « **نعم عليهن جهاد ، لا قتال فيه ، الحج والعمرة** » [4] .

ورُوي أن أسماء بنت يزيد بن السكن رضي الله عنها أتت النبي ﷺ فقالت : إني رسول مَنْ ورائي من جماعة نساء المسلمين ، كلهن يقلن بقولي ، وعلى مثل رأيي : إن الله بعثك إلى الرجال والنساء ، فآمنا بك واتبعناك ، ونحن معشر

---

(١) فتح البارى (٤٨٨/١) .
(٢) أي : تغسله بأطراف أصابعها .
(٣) فتح البارى (٤٨٩/١) .
(٤) صحيح : « صحيح سنن ابن ماجه ١٥١/٢ » والإرواء (٩/١١) ، والمشكاة برقم (٢٥٣٤) وكلها للألباني – رحمه الله – .

النساء مقصورات مخدَّرات قواعد بيوت ، وإن الرجال فُضِّلوا علينا بالجمعات وشهود الجنائز والجهاد ، وإذا خرجوا للجهاد حفظنا لهم أموالهم وربينا أولادهم ، أفنشاركهم في الأجر يارسول الله ؟ ، **فالتفت رسول الله ﷺ بوجهه إلى أصحابه فقال**: « **هل سمعتم مقالة امرأة أحسن سؤالاً عن دينها من هذه ؟** » ، فقالوا : بلى يا رسول الله ، **فقال رسول الله ﷺ** : « **انصرفي يا أسماء وأعلمي مَنْ وراءك من النساء أن حُسن تبعل إحداكن لزوجها ، وطلبها لمرضاته ، واتباعها لموافقته يعدل كل ما ذكرت للرجال** » [1] .

وعن عائشة ﵂ قالت : قلت يارسول الله : أرأيت إن علمتُ أيَّ : ليلةٍ ليلة القدر ، ما أقول فيها ؟ ، قال : « **قولي اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني** » [2] .

فلتتدبر المؤمنة سؤال عائشة ﵂ ما تقول في ليلة القدر ، وما هذا إلا من حرصها على معرفة الخير ، وبذل الجهد في طاعة الله والتقرب إليه .

وروى مسلم وغيره عن ابن عباس ﵄ أن جويرية ﵂ خرج النبي ﷺ من عندها بكرة حين صلى الصبح وهي في مسجدها ، ثم رجع بعد أن أضحى وهي جالسة فقال : « **ما زلتِ على الحال التي فارقتُك عليها ؟** » ، قالت : نعم . قال النبي ﷺ : « **لقد قلتَ بعدك أربع كلمات ثلاث مرات ، لو وُزنت بما قُلت منذ اليوم لوزنتهن : سبحان الله وبحمده ، عدد خلقه ، ورضا نفسه ، وزنة عرشه ، ومداد كلماته** » .

وروى البخارى وغيره عن أم سلمة ﵂ قالت : جاءت أم سُليمْ إلى رسول الله ﷺ فقالت : يارسول الله إن الله لا يستحى من الحق ، فهل على المرأة

---

(١) سبق تخريجه .
(٢) رواه الترمذى وابن ماجه ، وأحمد ، وغيرهم ، وإسناده صحيح « صحيح الجامع » (٨١٤/١)

من غُسل إذا احتلمت ؟ ، فقال النبي ﷺ : « **إذا رأت الماء** » . فغطت أم سلمة - تعنى وجهها - وقالت يارسول الله أوتحتلم المرأة ؟! ، قال : « **نعم تربت يمينك ، فبم يُشْبهُها ولدها** » .

وهكذا تكون المرأة المسلمة دائماً تَسأل عن أحكام دينها ، وما يقربها من الله تعالى ، وما يوصلها إلى رضا الله والجنة ولا تكن كم لا تعرف عن دينها إلا القشور .

وصدقت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عندما قالت : « **نِعْم النساء نساء الأنصار ، لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين** » [(١)] .

فعلى المرأة المسلمة أن تسلك طريق نساء سلف هذه الأمة ، حتى تنال رضا الله تعالى ، وتأمن مستقرها في الجنة ، ولتحذر من كل عائق واهٍ يصدها عن الله والدار الآخرة .

الفائدة الرابعة : لم يكمل من النساء إلا أربع :

روى الشيخان عن أبى موسى الأشعرى رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **كمُل من الرجال كثير ، ولم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران ، وآسية امرأة فرعون ، وخَديجة بنت خويلد ، وفاطمة بنت محمد ، وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام** »

وعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **حسبك من نساء العالمين : مريم بنت عمران ، وخديجة بنت خويلد ، وفاطمة بنت محمد ، وآسية امرأة فرعون** » [(٢)] .

---

(١) رواه البخارى .
(٢) صحيح : « صحيح سنن الترمذى » (٣/٢٤٤) .

[١] مريم بنت عمران :

قال تعالى : ﴿ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ ﴿١٢﴾ ﴾[التحريم: ١٢].

مريم ثمرة الدعاء الخالص الصادق الصالح ﴿ إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ ﴾ [آل عمران : ٣٥] .

وهذا النموذج نموذج المرأة في المنبت الطيب الطاهر ﴿ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ . [آل عمران : ٤٢] .

فماذا كانت سمة الاصطفاء فيها ؟ .

(أ) - أحصنت فرجها :

عفافها وطهرها ، نموذج يُحتذى لنساء المسلمين ، هذه أكرم صفة من صفاتها يوم تحصن فرجها ، وتحول دون أي شيء يمكن أن ينال سمعتها أو يلوثها ، وليس إحصان الفرج مرتبطاً بالزنى فقط ، بل كل ما يثير هذه العاطفة في الحرام هو إخلال بحصانة الفرج ، فكان هذا الفرج أهلاً لأن يحمل كلمة الله وروحاً من الله .

(ب)- وصدَّقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين :

يوم أن جاءها المخاض إلى جذع النخلة وهي لم تتزوج بعد : ﴿ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾ فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾ ﴾ [مريم : ٢١ - ٢٦] .

يوم أن تقبلت حكم ربها بقنوت خالص لله وخضوع كامل واستجابة خالصة .

[٢] خديجة بنت خويلد رضي الله عنها (١) :

أول من انضم إلى الركب المؤمن في الأرض بعد النبي ﷺ وحملت اللواء مع رسول الله ﷺ من اللحظة الأولى تجاهد وتكابد ، تفقد ثروتها وشهرتها ، وتعاضدُ نبيها حتى الرمق الأخير .

ولا ننسى موقفها رضي الله عنها حين أتاها النبي ﷺ قائلاً : « **زملوني زملوني ، دثروني دثروني** » فلما استوضحت منه الأمر قالت : كلا يا ابن العم ، والله ما يخزيك الله أبداً ، أبشر اثبُت ، فإنك تصل الرحم وتحمل الكلّ ، وتَقْري الضيف ، وتكسب المعدوم ، وتَصْدُق الحديث ، وتعين على نوائب الحق ، وإنني لأرجو أن تكون نبي هذه الأمة » .

ثم خرجت السيدة خديجة مع زوجها الحبيب إلى ابن عمها ورقة ابن نوفل – وكان قد تنصر في الجاهلية وكان يكتب الخط العربي – فلما أخبره النبي ﷺ بما حدث قال ورقة :

أبشر يا محمد ، فهذا الناموس الذي نزل على موسى ، وإنك لنبي هذه الأمة ، ولتُكذَّبَن ولتؤذَيَّن ولتُخْرَجن ولتُقاتلن ، ولئن أنا أدركت ذلك لأنصرنك نصراً الله يعلمه .

ثم قبَّل رأسه فقال رسول الله ﷺ : « **أومُخْرِجيَّ هم ؟** » فأجاب ورقة : نعم ، لم يأتِ رجل قط بمثل ما جئت به إلا عُودي ، ليتني أكون فيها جَذعاً ، ليتني أكون حيّاً .

---

(١) راجع « مواقف نسائية خالدة » للمؤلف .

فكانت خديجة رضي الله عنها أول مسلمة دخلت في الإسلام ، وكانت أول من آمن بالله وبرسوله وصدَّقت بما جاء منه ، فخفف الله بذلك عن نبيه ﷺ ، وعاصرت السيدة خديجة رضي الله عنها الفترات العصبية التى عاناها النبي ﷺ في صدر الإسلام والتي كانت مملوءة بالأهوال والكفاح ، وكان رسول الله ﷺ يذكر السيدة خديجة رضي الله عنها بعد وفاتها فيقول [١] : « **آمنت بي حين كفر الناس ، وصدقتني إذ كذبنى الناس ، وواستني بمالها إذ حرمني الناس ، ورزقني الله منها الولد دون غيرها من النساء** » .

[٣] فاطمة بنت محمد ﷺ :

روي الإمام مسلم في صحيحه أحاديث في فاطمة رضي الله عنها منها :

(أ) قوله ﷺ : « **إنما فاطمة بَضْعَةٌ مني يؤذيني ما آذاها** » .

(ب) وفي حديث عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ دعا فاطمة فسارَّها فبكت، ثم سارَّها فضحكت ، قالت عائشة : فقلت لفاطمة ما هذا الذي سرَّك به رسول الله ﷺ فبكيتِ ثم سارَّك فضحكتِ ؟ ! ، قالت : سارَّني فأخبرني بموته فبكيتُ ، ثم سارَّني فأخبرني أني أول من يَتبعه من أهله فضحكتُ .

(جـ) قوله ﷺ لها : « **يا فاطمة أما ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين أو سيدة نساء هذه الأمة** » [٢] .

[٤] آسية امرأة فرعون [٣] :

قال تعالى : ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَت رَبِّ

---

(١) رواه أحمد والطبراني .
(٢) راجع صحيح مسلم بشرح النووى (جـ ١٦) .
(٣) تفسير ابن كثير (٣٩٣/٤) .

ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (١١) ﴾ [التحريم : ١١] .

إنها آسية بنت مزاحم ، المرأة المؤمنة في المجتمع الكافر التي آثرت ربها على كل شيء في الوجود .

قال قتادة : كان فرعون أعتى أهل الأرض وأكفرهم ، فوالله ما ضرَّ امرأته كفر زوجها حين أطاعت ربها ، ليعلموا أن الله تعالى حكمٌ عدْلٌ لا يؤاخذ أحداً إلا بذنبه .

عن أبي العالية قال : كان إيمان امرأة فرعون من قِبل إيمان امرأة خازن فرعون ، وذلك أنها جلست تمشط ابنة فرعون فوقع المشط فى يدها ، فقالت : تعس من كفر بالله ، فقالت لها بنت فرعون : ولك رب غير أبي ؟ قالت : نعم ربي ورب أبيك ورب كلِ شيء الله ، فلطمتها بنت فرعون وضربتها وأخبرت أباها ، فأرسل إليها فرعون ، فقال : تعبدين رباً غيري ؟ .

قالت : نعم ، ربي وربك ورب كل شيء الله ، وإياه أعبد .

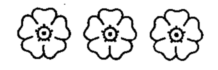
فعذبها فرعون عذاباً شديداً وسمعت امرأة فرعون ما حدث لها فآمنت ، ولما عرف فرعون قال للملأ : ما تعلمون من آسية بنت مزاحم ؟ فأثنوا عليها .

فقال لهم : إنها تعبد غيري ، فقالوا له : اقتلها ، فأوتد لها أوتاداً فشد يديها ورجليها ، فدعت آسية ربها فقالت :﴿ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ ﴾ [التحريم : ١١] . فوافق ذلك أن حضرها فرعون فضحكت حين رأت بيتها في الجنة ، فقال فرعون : ألا تعجبون من جنونها ؟ ، إنَّا نعذبها وهي تضحك .

وروى النهدي عن سليمان قال : كانت تعذب في الشمس ، فإذا انصرف عنها أظلتها الملائكة بأجنحتها .

وروى ابن جرير بسنده : كانت امرأة فرعون تسأل من غلب ؟ فيقال غلب موسى وهارون ، فتقول : آمنت برب موسى وهارون ، فأرسل إليها فرعون فقال : انظروا أعظم صخرة تجدونها ، فإن مضت على قولها فألقوها عليها ، وإن رجعت عن قولها فهي امرأتي ، فلما أتوها رفعت بصرها إلى السماء ، فأبصرت بيتها في الجنة ، فمضت على قولها ، وانتُزعت روحها وألقيت الصخرة على جسد ليس فيه روح .

من هنا وجب على المسلمة أن تبحث وتجاهد عن مواطن القدوة في هؤلاء النساء الفضليات اللائي ضربن أروع مثال في البذل والعطاء وأروع مثال في حب الله وحب رسول الله ﷺ ، وأروع مثال في دور المرأة المسلمة في مجتمعها المسلم .



الباب السابع
وفي الختام وصايا ونصائح مهمة

بعد أن علمنا أن النساء أكثر أهل النار ، وأنهن ناقصات عقل ودين ، وجب على الرجال الاستيصاء بالنساء خيراً كما حثنا على ذلك ربنا تعالى ونبيه ﷺ .

قال تعالى : ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ [النساء : ١٩] .

وقال تعالى : ﴿ وَلَن تَسْتَطِيعُوا أَن تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِن تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا (١٢٩) ﴾ [النساء : ١٢٩] .

وروى الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **استوصوا بالنساء خيراً ، فإن المرأة خُلقت من ضِلع ، وإن أعوج ما في الضِّلع أعلاه ، فإن ذهبت تقيمه كسرتَه ، وإن تركته لم يزل أعوج ، فاستوصوا بالنساء** »

وروى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **لا يفرِكْ** - أي يبغض - **مؤمن مؤمنة ، إن كره منها خُلقاً رضي منها آخر** » .

وأخرج الترمذي من حديث عمرو بن الأحوص الجُشمي رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ في حجة الوداع يقول بعد أن حمد الله وأثنى عليه وذكَّر ووعظ ثم قال : « ... **ألا واستوصوا بالنساء خيراً فإنما هن عوان** - أسيرات - **عندكم ليس تملكون منهن شيئاً غير** [1] **ذلك ، إلا أن يأتين بفاحشة مُبَيِّنة** [2] ،

(١) أي : غير الاستمتاع وحفظ الزوج في نفسها وماله .
(٢) أي : ظاهرة ، في « النهاية » : « وكل خصلة قبيحة ، فهي فاحشة من الأقوال والأفعال » ، ولذا قال السندي في حاشيته : « والمراد : النشوز وشكاسة الخلق ، وإيذاء الزوج وأهله باللسان واليد ، لا الزنا ، إذ لا يناسب قوله « ضرباً غير مبرح » آداب الزفاف للألباني (ص ٢٧٠) .

فإن فعلن فاهجرون في المضاجع واضربوهن ضرباً غير مُبرِّح فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً ... » [١] .

ومن أهم صور الاستيصاء بالنساء ، هو الأخذ بالأسباب التي تقيهن عذاب الله وغضبه بتعليمهن وتأديبهن ، وذلك بأن يعلمها أصول دينها : كيف تؤمن بالله تعالى الإيمان الحق ، وتوحده التوحيد الخالص ، وتؤمن بأسمائه وصفاته على الوجه اللائق بجلاله سبحانه وتعالى ، وتعرف ما يجب لله تعالى ، وما يجوز له سبحانه ، وما يستحيل عليه تبارك وتعالى ، وتؤمن بما جاء من عند الله تعالى من أركان الإيمان ، وسائر أحكام الإسلام الواجبة عليها ، وأصول معرفة الحلال والحرام .

وأن يعلمها أحكام العبادات ، ويحضها على القيام بها ، خاصة الصلاة في أول الوقت ، وشروطها وأركانها ومفسداتها ومكروهاتها وسائر العبادات ، وحقوق الله تعالى عليها ، وحقوق الزوجية .

وأن يعلمها مكارم الأخلاق من وقاية القلب من أمراض الحسد والبغضاء ، ووقاية اللسان من الغيبة والنميمة والسب والكذب ، ويراقبها في ذلك كله ما استطاع إلى المراقبة سبيلاً .

قال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لاَّ يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ** (٦) ﴾ [التحريم : ٦] .

قال عليٌّ رضي الله عنه في قوله : ﴿ **قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا** ﴾ : علموا أنفسكم وأهليكم الخير وأدبوهم .

---

(١) قال الترمذى : حديث حسن صحيح ، وحسنه الألبانى – رحمه الله – « صحيح سنن الترمذى » (٣٤١/١) .

وقال قتادة : أن يأمرهم بطاعة الله تعالى ، وينهاهم عن معصيته ، وأن يقوم عليهم بأمر الله تعالى ، يأمرهم به ، ويساعدهم عليه ، فإذا رأيت لله معصية ردعتهم عنها ، وزجرتهم عنها .

قال القرطبي - رحمه الله - في تفسير هذه الآية : فعلى الرجل أن يصلح نفسه بالطاعة ، ويصلح أهله إصلاح الراعي للرعية .

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **أيُما رَجُلٍ كانت عنده وليدة فعلَّمها ، فأحسن تعليمها ، وأدَّبها فأحسن تأديبها ، ثم أعتقها وتزوجها ، فله أجران** »[١] ، أي أجر العتق وأجر التعليم .

وترجم البخاري لهذا الحديث : باب تعليم الرجل أمته وأهله .

وقال الحافظ ابن حجر في شرحه : مطابقة الحديث للترجمة في الأمة بالنص ، وفي الأهل بالقياس ، إذ الاعتناء بالأهل الحرائر في تعليم فرائض الله وسُنن رسوله ﷺ أكثر من الاعتناء بالإماء[٢] .

وبعد أيتها المرأة المسلمة : أما آن لك بعد كل ذلك أن تتوبي إلى ربك وتتوبي إليه ، وتندمي على ما فرَّطتي في جنب الله .

أما آن لك بعد أن علمتي أن النساء أكثر أهل النار ، أن تشمري عن ساعديك وتسلكي صراط ربك المستقيم ، وتدعي كل قول ساقطٍ يريد أن يُنحيِّك عن مهمتك الغالية في إعداد الأجيال المستقيمة على دين الله تعالى .

آما آن لك أن تهرولي مسرعة إلى ربك فتقفين ببابه نادمة خاضعة ذليلة باكية ، تسألينه العفو والصفح ، وأن يعينك على النجاة من النار يوم القيامة .

---

(١) رواه البخاري ومسلم وغيرهما .

(٢) فتح الباري (١٩٠/١) انظر : « عودة الحجاب » للشيخ / محمد إسماعيل (٣٠٠/٢)

ماذا تنتظرين أيتها المرأة المسلمة ؟!



- فيا من تقدمين طاعة غير الله على طاعة الله ، أَمَا تعلمين أن النساء أكثر أهل النار ؟!! .
- ويا من هجرتِ الصلاة وأعرضتِ عنها ، أَمَا تعلمين أن النساء أكثر أهل النار .
- ويا من لا تؤدين زكاة مالك ، أَمَا تعلمين أن النساء أكثر أهل النار ؟! .
- ويا من تصومين عن الطعام والشراب ولا تصومين عن المعاصي ، أمَا تعلمين أن النساء أكثر أهل النار ؟! .
- ويا من يكون حجكِ وعمرتكِ لغير الله ، أَمَا تعلمين أن النساء أكثر أهل النار ؟! .
- ويا من لا تبرين والديكِ ، ولا تصلين رحمكِ ، أَمَا تعلمين أن النساء أكثر أهل النار ؟! .
- ويا من لا تطيعين زوجكِ في طاعة الله وتهضمين حقه ، أَمَا تعلمين أن النساء أكثر أهل النار ؟! .
- ويا من لا تكرمين الجار وتؤذين الناس، أَمَا تعلمين أن النساء أكثر أهل النار؟! .
- ويا من لا تحفظين لسانك من القيل والقال ، أَمَا تعلمين أن النساء أكثر أهل النار ؟! .
- ويا من تحبين الدنيا وتلهثين وراءها ، أَمَا تعلمين أن النساء أكثر أهل النار ؟! .
- ويا من ترتدين حجاباً متبرجاً مختلفاً عن الحجاب الشرعي ، أَمَا تعلمين أن النساء أكثر أهل النار ؟! .

- ويا من تتعرين أمام الرجال الأجانب عنك ، أَمَا تعلمين أن النساء أكثر أهل النار ؟! .
- ويا من تختلطين بالرجال وتضاحكينهم وتجالسينهم وتحادثينهم ، أَمَا تعلمين أن النساء أكثر أهل النار ؟! .
- ويا من تحسدين الناس على ما آتاهم الله من فضله وتحقدين عليهم ، أَمَا تعلمين أن النساء أكثر أهل النار ؟! .
- ويا من تشغلين نفسك باللهو الباطل وتضييع الأوقات ، أَمَا تعلمين أن النساء أكثر أهل النار ؟! .
- ويا من لا تكثرين من ذكر الله تعالى وتلاوة القرآن ، أَمَا تعلمين أن النساء أكثر أهل النار ؟! .
- ويا من لا تحفظين قلبك وجوارحك عن الوقوع في المعصية ، أَمَا تعلمين أن النساء أكثر أهل النار ؟! .
- ويا من تُقبلين على عِلْم الدنيا بنَهم ، وتُعرضين عن عِلْم الآخرة ، أَمَا تعلمين أن النساء أكثر أهل النار ؟! .
- ويا من هجرتِ كتاب ربك قراءة وعملاً بما فيه وتحاكماً إليه ، أَمَا تعلمين أن النساء أكثر أهل النار ؟! .
- ويا من لا تعرفين لذكر الله سبيلاً ، أَمَا تعلمين أن النساء أكثر أهل النار؟! .
- ويا من غفلتِ عن يوم الرحيل ، أَمَا تعلمين أن النساء أكثر أهل النار ؟! .
- ويا من غفلتِ عن سكرات الموت ، أَمَا تعلمين أن النساء أكثر أهل النار؟!.
- ويا من غفلتِ عن عذاب القبر ونعيمه ، أَمَا تعلمين أن النساء أكثر أهل النار ؟! .

● ويا من غفلت عن الله والدار الآخرة ، أَمَا تعلمين أن النساء أكثر أهل النار ؟! .

قال تعالى : ﴿ وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾ [الزمر : ٥٥ - ٥٨] .

فيا أمي الرءوم ، ويا أختي الحبيبة ، ويا أختي المسلمة ، ويا بنتي الحبيبة ، آما أنا لك الآن أن تسرعي الخطا نحو ربك عز وجل تائبة نادمة ، عاقدة العزم ، أن تعيشي للإسلام عقيدة وعبادة ومنهجاً وسلوكاً ودعوة .

أيتها المرأة المسلمة :

يا من اتخذت الله رباً وإلهاً ، وهربت من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده رب العباد ، ألا تعرفين بأن الله جامعك ليوم لا ريب فيه تُعرضين فيه مع الخلق أجمعين ، حفاة عراة غُرلاً على رب العالمين .

فما موقفك وقد ساقك الملكان لموقف العرض العظيم ، يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات ، يا له من يوم عصيب ، الكل ينتظر العرض على الله ، لا يمنع ملائكة الله تشابه الأسماء ، يعرفونك ويأخذونك من بين الخلق أجمعين ، تَمرين وتقولين أين يذهبون بي ، الله أعلم إلى أين المصير .

توهمي نفسك وأنتِ بين يدي الله وفي يدك صحيفة عملك ، لا تغادر صغيرة ولا كبيرة ، تقرأين الكتاب وتنظرين الميزان ، كم من خافية قد أبداها الله وأظهرها ، وكم من عمل عملتينه في الدنيا بغير هدى من الله قد أصبح اليوم هباءً منثوراً .

فَمَثِّلْ وقوفك يوم العرض عُريانا ... مستوحشًا قلق الأحشاء حيرانا
والنار تلهب من غيظ ومن حَنَق ... على العصاة ورب العرش غضباناً
المشركون غداً في النار يلتهبوا ... والمؤمنون بدار الخلد سكانا

فهل أعددت لهذا اليوم من عمل يقبله الله ؟!! .

توهمي نفسك وقد صرتِ على الصراط ، ونظرتِ إلى جهنم من تحتك سوداء مظلمة ، قد لظى سعيرها ، وعلا لهيبها ، فيا ترى أين يذهبون بك ؟! .

- هل من وقفة مع النفس للحساب في الدنيا قبل أن تحاسبي ؟! .
- هل من رجعة إلى الله خالصة صادقة ؟! .
- هل من توبة صادقة تُقبلين بها على الله ؟! .
- هل من عمل صالح يُخلِّصك من النار ؟! .
- هل من دمعة صادقة تُرزقين بها خشية الله ؟! .

هلمي ، هلمي ، ولا تتواني ، وجددي إيمانك بالله تعالى .

فيا أيها الناسي ليوم رحيله ... أراك عن الموت المُفَرِّق لاهياً
ألا تعتبر بالراحلين إلى البِلى ... وتَرْكِهِمُ الدنيا جميعاً كما هيا
ولم يخرجوا إلا بقطن وخِرقةٍ ... وما عَمَّروا من منزل ظلَّ خالياً
وأنت غداً أو بعده في جوارهم ... وحيداً فريداً في المقابر ثاوياً

هذا وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

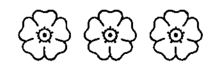
وصل اللهم على محمد النبي وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً .

وكتبه الفقير إلى ربه تعالى

عصام بن محمد الشريف

عفا الله عنه

الفهرس



ترقبوا للمؤلف

----

[١] هذه هي زوجتي .

[٢] هذا هو زوجي .

[٣] أشكو إليك زوجي .

[٤] أشكو إليك زوجتي .

[٥] رسالة إلى الأزواج العازمين على التعدد .

صدر للمؤلف عن دار الإيمان

----

[١] عقبات في طريق الأخوات .

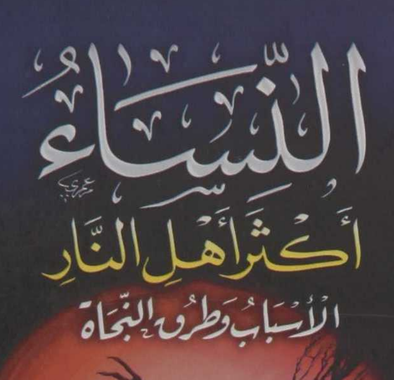
[٢] حوار مع المتبرجات .

[٣] مواقف نسائية خالده .

[٤] موقف المرأة الصالحة من تعدد الزوجات .

[٥] الحسرات في ذم المنكرات .





النساء
أكثر أهل النار
الأسباب وطرق النجاة
بقلم
عصام محمد الشريف
دار الإيمان



دار الإيمان
للطبع والنشر والتوزيع
١٧ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - إسكندرية
تليفون وفاكس : ٥٤٥٧٧٦٩ - تليفون : ٥٤٤٦٤٩٦